الفصـــــل الســـادس

الصـــلات الثقـــافية والفنية بين

الخـــلافة الموحـــدية والمشرق الاســـلامى

١ ـــ الاصـــول الفكرية للدعـــوة الموحـــدية

٢ ـــ فقهـــاء الفكر الصـــوفى المغاربة فى المشرق •

٣ ـــ علماء مغـــاربة عادوا الى المغـــرب •

٤ ـــ الصـــــلات الفنية •

الصلات الثقافية والفنية بين الخـــلافة الموحدية والمشرق الاســـــلامى

(١)

الاصول الفكرية للدعوة الموحدية

(أ) أسس الدعـــــوة :

تضاربت الآراء حول ما ألفه صاحب الدعوة المـــوحدية من مصنفات تتعلق بالاصول الفكرية لتلك الدعوة • ومع ذلك فان الخط الرئيسى فى فكر ابن تومرت ينتظم فيما أعلنه من ايثاره للمذهب الاشعرب المرشدى وأخذه بعصمة الامام عند .فرقة الامامية •

وكان ابن تومرت قد التقى فى الرحلة المشرقية بـــكل من الشـــيخين الهراس والطرطوشى[1] ، وعلى حد قول ابن خلدون التقى فى المشرق بأئمة الاشعرية « واستحسن طريقهم فى الانتصار لعقائد السلفية والذب عنهـــا بالحجج العقلية •• وذهب الى رأيهم فى تأويل المتشابه فى الآى والاحاديث •• وحملهم بالاخذ بمذاهب الاشعرية فى كافة العقائد » • وفى ذات الوقت، يشير ابن خلدون فى معرض حديثه عن ابن تومرت الى رأيه فى عصمة الامام فيقول : « •• وكان من رأيه بعصمة الامام على رأى الامامة من الشيعة ،

---

(١) الهراس : هو أبو الحسن على بن محمد بن على الفقيه الشافعى ، كان يدرس بالنظامية ببغداد توفى سنة ٥٠٤ هـ . والطرطوشى : هو ابو بكـــر محمد بن الوليد ولد بطرطوشة بالاندلس سنة ٤٥١ هـ ، رحل الى المشرق للعلم سنة ٤٧٦ هـ وجال ببغداد والبصرة ودمشق والقاهرة واستقر فى الاسكندرية وأقام بها حتى وفاته بها سنة ٥٢٠ هـ . أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٢٢٦ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٣٧ .

وألف فى ذلك كتابه فى الامامة الذى افتتحه بقوله أعز ما يطلب »[٢] .

ومن المعروف أن القرن الخامس الهجرى الذى بدأت فى نهاية رحلة ابن تومرت المشرقية قد شهد بالذات معارك انتصار وهزيمة المذهب الشافعى أمام المذاهب الاخرى . ومن هذا المذهب الشافعى انبثقت الاشعرية المرشدية . فعلى يد أبى زرعة محمد بن عثمان الدمشقى (ت ٣٠٢هـ — ٩١٤م) غلبت الشافعية على الشام بعد أن كانت غالبية أهل دمشق على المذهب الاوزاعى . كما تغلبت الشافعية أيضا على الحنفية فى العراق على يد أبى بكر الشاشى الفقيه الشافعى المعروف بالقفال (ت ٣٦٥هـ — ٩٧٨م) . وكانت الشافعية قد سبقت بهذا النصر الى مصر منذ القرن الثانى الهجرى حيث تغلبت على المذهب المالكى ، غير أن نصرها هذا لم يكن نهائيا . فقد تقاسمت المالكية والشافعية حلقات الفقه فى مصر فى المسجد الجامع فكانت لكل منهما خمس عشرة حلقة ، ولاصحاب أبى حنيفة ثلاث حلقات[٣] . ثم قدر للمذاهب السنية المذكورة أن تنسحب الى خارج أطراف الحاضرة المصرية زمن الفاطميين . فاحتفظ الصعيد بمذهبه المالكى ، وكان للمالكية بالاسكندرية مدرستها أيضا . بينما استمرت الشافعية فى ريف مصر عموما الى أن تمكن الايوبيون من الانصار لمذهبهم الشافعى نهائيا .

واذا كانت المالكية فى المشرق لم تحظ بمركز الصدارة فى الفقه الاسلامى وكان نصيبها لايزيد فى قليل أو كثير عن المذاهب الفقهية الاخرى، وكان للمذهب الشافعى الغلبة بين المذاهب السنية الاخرى ، فان المذهب

---

(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .
(٣) ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، ص ٢٤ .

المالكى لم يترك فى الغرب الاسلامى مكانا لمذهب آخر، ويعبر المقدسى عن ذلك بقوله : « أما فى الاندلس فمذهب مالك وقراءة نافع ، وهم يقولون لا نعرف الاكتاب الله وموطأ مالك ، فان ظهروا على حنفى أو شافعى نفوه، فان عثروا على معتزلى أو شيعى أو نحوهما ربما قتلوه »(٤) .

فهل كان تعدد المذاهب فى المشرق الاسلامى وراء الثورة المذهبية فى فكر ابن تومرت ، أم أن الاحتكار المالكى للفقه المغربى كان المنطلق لهذه الثورة ؟

وأميل شخصيا الى الاخذ بالشطر الثانى من السؤال استنادا الى أن الثورة المذهبية التى ذهب اليها المهدى فى منهجه الفقهى قد استمدها فى الشرق من مذهب الاشاعرة المرشدية الذى لم يسبق للمغاربة أن ألموا به . ثم ان علم الكلام الذى بنى عليه ابن تومرت دعوته رأى فيه فقهاء المالكية سببا لاختلال العقيدة كما رأوا عدم الخوض فى التوحيد والاقتداء بالسلف فى قبول النصوص على علاتها واقرار المتشابهات كما جاءت والايمان بها كما هى(٥) .

---

(٤) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٦ . وعن وصول المذهب الشافعى الى المغرب وتقلصه من الاندلس نذكر : « .. فى منتصف القرن ٣ هـ على يد قاسم بن سبار القرطبى (ت ٢٧٦ هـ) حيث سعى بعض العلماء الى نشره أمثال بقى بن مخلد (ت ٢٧٢ هـ) ، ومع زيادة رحلة الشافعيين من المشرق الى الاندلس أدى الى انتشار المذهب خاصة على عهد الحكم المستنصر الذى كان يشجعهم مثل : أبى الطيب محمد بن أبى بردة (ت ٢٧١ هـ) ولكن أمام سيادة المذهب المالكى ومحاربة فقهائه لهؤلاء الوافدين ، تقلص المذهب الشافعى الى حد كبير ، وربما أدى ذلك الى رحيل الشافعيين عن طريق المغرب بعد اضطهادهم أو التجائهم الى المغرب . أنظر : أنخل بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٤٣٦ . راجع أيضا ، د . عباس الجرارى ، الموحدون ، ص ١١٠.

(٥) الجرارى ، الموحدون ، ص ٨٦ .

ويذهب بعض الباحثين الى أن هذه الاوضاع أدت الى قيود فرضتها الدولة حفاظا على مكاسب تلك الطبقة الناشئة ، مما دعا الى اتخاذ تدابير صارمة أفتى بها علماء المالكية ، منها احراق كتب الغزالى لا سيما كتاب « احياء علوم الدين » لاشتماله على كثير من المسائل الكلامية ، ومنها الزام الامير المرابطى (على بن يوسف بن تاشفين) بهذه الفتوى الى حد التهديد بسفك الدماء ومصادرة مال من يضبط عنده هذا الكتاب[٦] .

على أن ثورة ابن تومرت الفقهية ما تلبث أن تنتصر على خصومها فقهاء المالكية ، ويجيء هذا الانتصار مخالفا لما حدث فى الشرق عندما تذبذب ميزان النصر والهزيمة للاشاعرة فى معاركهم التى خاضوها ، ولهذا كان الثورة الموحدية تعنى من الوجهة التاريخية حادثا خطيرا أصوله أعمق من مجرد العلاقة الفقهية بين المذهبين وانما تمتد الى أعماق الفكر المذهبى فى المجتمعات المغربية وترتكز أساسا على ما قام من علاقات مذهبية فى تاريخ المغرب الاسلامى حتى انتصار المالكية وتغلبها على غيرها من المذاهب .

(ب) الاعتزال :

ولعل أول خيط فى الاصول المذهبية لدعوة ابن تومرت ما يتعلق بفكرة

---

(٦) أصدر هذه الفتوى المذكورة فقهاء الاندلس وعلى راسهم ابن حمدين قاضى قرطبة ، وان كان بعض فقهاء المغرب لم يسايروهم فيما ذهبوا اليه من انكار فكر الغزالى . ومن بين هؤلاء الفقهاء المغاربة أبو الفضل بن النحوى الذى راى أن الغزالى ساعد الدولة المرابطية ووقف الى جانبها . (المراكشى ، المعجب ، ص ١٧٢ — ١٧٣) . وانظر أيضا : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٤ ط بيروت ١٩٦٧ ، ص ٥٩ . ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، القسم الثالث الدار البيضاء ، ١٩٦٤ ، ص ٢٥٣ — ٢٥٦ . ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٤ . مجهول الحلل ، ص ٨٥ . وأيضا : د . سالم ، المغرب الاسلامى ، ص ١٣٨ . د . سالم ، المغرب الكبير ، ط ١٩٦٦ ، ص ٧٣٨ — ٧٣٩ ، ٧٤٢—٧٤٥

الاعتزال عامة وطوره المغربى على وجه الخصوص • ويظهر ذلك واضحا من الربط بين المدخل الى تحقيق الدعوة الموحدية ومقولة شيخ المعتزلة واصل بن عطاء فى قول لاحد دعاته : « •• الزم سارية المسجد سنة تصلى عندها حتى يعرف مكانك ، ثم افت بقوله الحسن سنة ، ثم اذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا فابتدىء فى الدعاء للناس الى الحق »[٧] •

انتشر الاعتزال فى المغرب الاقصى منذ فترة مبكرة على يد عبد الله بن الحارث مبعوث واصل بن عطاء[٨] ، وأكبر دليل على ذلك قبيلة أوربة التى كانت على مذهب المعتزلة • ثم انتشر المذهب خصوصا فى افريقية «تونس» التى أصبحت مركزا للدعوة[٩] فى هـذا العصر • ولم ينتشر الاعتزال بين عموم البربر لاحجامهم بطبعهم عن تقبل التأويلات النظرية والتدقيقات العقائدية التى جاء بها المعتزلة[١٠] ، هـذا فضلا عن اتهام المالكية

---

(٧) البلخى ، مقالات اسلامية فى كتاب فضل الاعتزال ، ص ٦٧ . محمود اسماعيل ، المعتزلة فى المغرب ، ص ٢ — ٤ .

(٨) ويورد الشهرستانى فى الملل والنحل عن المعتزلة ما يلى : « .. وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة فى بلد ادريس بن عبد الله الحسنى الذى خرج بالمغرب فى أيام جعفر المنصور ويقال لهم الواصلية ، واعتزالهم يقوم على أربعة قواعد : الاولى ينفى صفات البارى تعالى من العلم والقدرة والادارة ، والحياة ، والثانية القول بالقدر ، والثالثة القول بالمنزلة بين المنزلتين والرابعة قوله فى الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين . أن أحدها مخطىء لا بعينه ، وكذلك قوله فى عثمان وخاذليه أن أحد الفريقين فاسق لا محالة كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا بعينه » (ج ١ ، ص ٥٧ — ٦١) .

(٩) البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١١٨ .

(١٠) محمود اسماعيل ، المرجع السابق ، ص ٧ .

بالزندقة[١١] . ولكن مراكز المعتزلة نمت فى المغرب الاقصى (الدار البيضاء، طنجة ، وليلى ، أيزرج)[١٢] الى حد أن اتسمت — على حد قول د. محمود اسماعيل — بسمات الامارات المستقلة . وبلغ عددهم وفقا للاحصاءات التى أوردها المؤرخون الى ٣٠ ألف معتزلى[١٣] . وقد دفع الاعجاب بهذه القوة المغربية الاعتزالية شاعر المشرق صفوان الانصارى المعتزلى الى الاشادة شعرا بزعيم واصلية المغرب فيقول :

له خلف شعب الصين فى كل ثغرة
الى سوسها الاقصى وحلف البرابر
رجال دعاة لا يقل عزيمهم
تهكم جبار ولا كيد ماكر[١٤] .

واذا كان المعتزلة فى تونس قد تعرضوا لمحنة كبيرة لصالح المالكية التى تأخذ بظاهر القرآن وترفض التأويل واقرار المتشابهات ، الا أن المالكى فى رياض النفوس يؤكد ميل بعض فقهاء المالكية لمبادىء المعتزلة . وبلغ الصراع الفكرى بين الطرفين مداه فكفروا بعضهم بعضا ، وتبرأ المعتزلة من مخالفيهم حتى ولو كانوا آباؤهم أو أبناؤهم[١٥] ، ولكن محنة الاعتزال فى افريقية يعوضها انتصار أصحاب المذهب فى الشرق حيث أصبح الاعتزال

---

(١١) حسين مؤنس ، مقدمة رياض النفوس ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١٠ — ١٣ . الدباغ ، معالم الايمان ، ج ٢ ، ص ١١ . آدم ميتز ، الحضارة الاسلامية ، تعريب د . أبو ريدة ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .

(١٢) د . سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربى ، ص ٣٣٧ . وايزرج : مدينة تلى تاهرت .

(١٣) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ١٢١ .

(١٤) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٥ . محمد بن تاويت ، الصادق عفيفى ، الادب المغربى ، ص ١٦٠ .

(١٥) المالطى ، التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع ، ص ٤٢ . المالكى رياض النفوس ، ص ١١٤ ، ١٢٠ — ١٢١ .

مذهب دولة بنى العباس الرسمى فى خلافة المـأمون والمعتصم والواثق • ولمـا كان الاغالبة فى افريقية يتبعون بنى العباس سياسيا ، فقد كان طبيعيا أن تتبع امارتهم الخلافة العباسية روحيا ومذهبيا ، فيسود المعتزلة وتزداد قوتهم عن طريق الرحلات وتقليـد المناصب ، فـدارت الدائرة بذلك على المالكية وشيخهم سحنون ، واشتد تشنيعهم عليه لتمسكه بالقول بعدم خلق القرآن حتى قرر فى النهاية « ألا يفتى ولا يسمع أحدا ويلزم داره» (١٦)• ولم يبدأ انحسار هذا المد الاعتزالى الا منذ أن اعتلى المتوكل ٣٢ هـ / ٨٤٧ م) دست الخلافة العباسية اذ كان سلفيا متشددا فى تطبيق السنة ، وأمتحن المعتزلة أشد الامتحان ، سواء فى داخل الخلافة أو فى الولايـات الى أن اشتد بهم الامر وأنتهوا الى الفقر والتشرد فأضطروا الـى التخفى والتستر (١٧) •

ولم يكن المغرب الاوسط بمنأى عن خضم أحداث المعتزلة ، فقـد شهدت فترات من تاريخه وقائع الخلاف والتقارب بين المعتزلة وبيـن الاباضية الرستمية • ومن الموضوعات التى شارك الاباضية فيهـا رأى المعتزلة موضوع خلق القرآن وتأويل بعض آياته (١٨) ، أما ما يتعلـق بموضوعات أوجه الخلاف فمنها مسألة القدرية (١٩) • وزاد فى هذا الخلاف

---

(١٦) الدباغ ، معالم الايمان ، ج ٢ ، ص ٨٦ — ٨٨ .
(١٧) الخشنى ، طبقات علماء افريقية ، ص ٢٥٧ . محمود اسماعيل ، المرجع السابق ، ص ١٨ — ١٩ .
(١٨) بل ، الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى ، ص ١٤٣ . نللينـو ، بحوث فى المعتزلة ، ص ٢٠٤ — ٢٠٦ .
(١٩) الشهرستانى ، الملل والنحل ، ص ٤٩ — ٥٠ . أنظر أيضا : صالح باجة ، الاباضية بالجريد ، تونس ١٩٧٦ ، المقدمة .

بين فرق المعتزلة الواصلية والاباضية الرستمية ظهور فرق أخرى باطنية اتخذت موقفا عدائيا من الامامة الرستمية عرفت بالاباضية الوهبية بسبب ثورتها على الاوضاع السياسية والاقتصادية • وقد شارك الاباضية الوهبية فى ثورتها على تلك الاوضاع معتزلة المغربين الاوسط والاقصى • غير أن الغلبة كانت فى النهاية للاباضية فكسرت شوكة المعتزلة وظلوا مابين مهاجر الى المغرب الاقصى أو باق فى تاهرت (عاصمة الاباضية الرستمية) الى أن حل الضعف بالامامة الرستمية ، فعاودوا الحرب الكلامية مع المعتزلة ، وعلى حد قول المؤرخ ابن الصغير المالكى المعاصر لتلك الاحداث اذ يقول : « اجتمعت المعتزلة والاباضية بنهر مينة لموعد جعلوه فيما بينهم للمناظرة » (٢٠) •

ولم يختلف دور معتزلة المغرب الاقصى عن اخوانهم فى المغربين الادنى والاوسط ، وكما سبقت الاشارة لم يكونوا بعيدين عما كان يجرى فى المشرق • وأكثر من ذلك ، فقد ارتبطوا بدعوة جديدة هى الدعوة العلوية التى قامت عليها دولة الادارسة العلوية (الشيعية الزيدية) التى قامت فى عام ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م على يد أبو العلاء ادريس بن عبد الله الاكمل بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب بعد هروبه من معركة فخ عام ١٦٩ هـ / ٧٨٦ م على عهد الخليفة الهادى العباسى ، ونزوله على قبيلة أوربة التى ساعدته وناصرته وأخذت له البيعة فى مدينة وليلى • وتمكنت

---

(٢٠) ابن الصغير المالكى ، أخبار الائمة الرستميين ، ص ٥٦ . ولقد دخلت هذه الفرق من الخوارج سواء الصفرية منها (نسبة الى زيادة بن محمد الاصفر) أو الاباضية (نسبة الى عبد الله بن أباض) الى المغرب فى القرن الثانى من الهجرة وأسست دولتيهما وأصبح مذهبهما أكثر انتشارا بين قبائل المغرب ، (أنظر : د . مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٤٤ — ٤٨ . محمد بن عبد السلام بن عبود ، تاريخ المغرب ، ص ٩٣) .

دولة الادارسة من بسط نفوذها من عاصمتها فاس على جل المغرب الاقصى وزاحمت جيرانها من بنى يفرن وأنتزعت منهم مدينة تلمسان • ويفسر بعض الباحثين سرعة التفاف البربر حول الادارسة على هذا النحو بحيث تمكنوا من تأسيس دولتهم ، وبالرغم من حداثة عهد هؤلاء البربر بالاسلام من منطق تعظيمهم لآل البيت ، ولكن يضاف الى هذا التفسير ما يتعلق بالتقارب الفكرى بين الادارسة وما سبق من فكر اعتزالى فى فرقهم المتناثرة فى أرجاء المغرب •

بل أن دولة الادارسة ذاتها أصبحت بدورها موطئا للمعتزلة ، فقبيلة أوربة التى ساندتها كانت تدين بمذهب الاعتزال ، وأن عبد الله الكامل نفسه والد ادريس الاكبر كان يعتبر فى الطبقة الثالثة من طبقات المعتزلة (٢١) • هذا فضلا عن أن التقارب بين اسحاق الاوربى والامام ادريس الاكبر يمكن تفسيره على أساس أن الاول على حد قول جولتسهير: « يتفق على ما أقره الشيعة من أن الامام المستور ينتمى الى مدرسة العدل والتوحيد أى الى مذهب المعتزلة » (٢٢) • وبغض النظر عن مدى صحة القول بتشيع الدولة الادريسية ، فان الاعتزال تبعا لذلك الرأى ظل قائما فى المغرب على اتصال بالاعتزال فى المغربين الآخرين ، ومن ثم بمعتزلة الشرق الى أن تغلب التشيع بقيام الدولة الفاطمية (الشيعية الامامية) عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٠ م •

---

(٢١) مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٢٢) جولتسهير ، العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ص ٢٢٢—٢٢٣ .

جـ ـ التشـــــــيع :

هناك من الباحثين من يرفض الاخذ بسمة التشيع أو حتى سمـــة الاعتزال فى الدولة الادريسية ومنهم د • عباس الجرارى (أستاذ الادب والفكر المغربى بكلية آداب الرباط) • ويميل هذا الباحث الى اعتبـــار الادارسة أصلا من السنة المالكية وأنهم أخذوا فى تشكيل حركتهم السياسية داخل نطاق الاعتزال ، وعلى حد قوله : « وان كانت تعتبر هذه الحركـــة اعتزالية ، ولكن الذى لا شك فيه أن الادارسة لم يكونوا من المعتزلة ولا من الامامية الاسماعيلية ولم يكن لهم مذهب معين فى الشيعة وأنهم لذلك لجأوا الى السنة والى المالكية خاصة » (٢٣) •

وأيا ما كان الامر ، فان التشيع لم يلبث أن أنتشر فى ربوع المغرب(٢٤) وقد فسر البعض هذه الظاهرة على أساس العصبية بأنها ترجع الى بغض القبائل البربرية للعرب ، كما فسرها آخرون على أساس مادى (اقتصادى) بأنها ترجع الى تذمر قبائل كتامة من حكم الاغالبة والعباسيين ، أواجتماعى بأنها تعزى الى سلوك الداعية الفاطمى وسيرته فى التقشف والزهد والحفاظ على مكارم الاخلاق والنهى عن قبيح العادات والاتجاه الى لبس الخشن وقليل من الطعام الغليظ • ويستند أصحاب هذا الرأى الى أن عبيد اللـــه المهدى اعتمد على عصبية القبائل والجند الصقالبة وولاهم مركز الصدارة فى دولته (٢٥) •

---

(٢٣) الجرارى ، الموحدون ثورة سياسية ومذهبية ، ص ٩٥ .
(٢٤) الجرارى ، المرجع السابق ، ص ٩٥ــ٩٦ .
(٢٥) محمود اسماعيل ، المالكيون والشيعة فى افريقية ، ص ٦ــ١٠ .

غير أن سلوك الاعتزال أو التشيع وان كان قد صادف هوى البربر من الوجهتين الاقتصادية والاجتماعية وأرضى عندهم النزعة العصبية التى أستشعروها فى علاقتهم بالقبائل العربية ، الا أن الامر سرعان ما تحول الى مشكلة فى تصورهم الفكرى للاسلام وتفسير نصوص شريعته • وكان من العسير عليهم أيضا ادراك التفسير المذهبى الباطنى للسلطة عند الشيعة من حيث أن الامام يستمد سلطته من الله — مباشرة وأن روح الله تحل فى الائمة • وأستدعى الامر وقتا كافيا لتقبل المعنى الظاهرى من هذا التفسير الذى يجعل للامامة الفاطمية أساسين :

أ — العلم اللدنى أو الالهى الموروث عن النبى — صلى الله عليه وسلم — عن طريق على بن أبى طالب ثم أولاده من بعده الى الفاطميين • ومن ثم القول بالامام المعصوم من الخطأ لما ورثه عن النبى من علوم دينية ، علم الظاهر وعلم الباطن أى ظاهر القرآن وباطنه ، وهما ما علمهما النبى لعلى بن أبى طالب الذى أطلع بالتالى على خفايا الكون والسر المكنون من هذين العلمين اللذين توارثهما من بعده الائمة الفاطميين على التوالى ، فظهر الامام بينهم معلما أكبر [٢٦] •

ب — الاساس الثانى يتعلق بمسألة الوصية أو النص على ولاية العهد التى يعبر عنها د• العبادى بقوله : « أن الخلافة الفاطمية خلافةرافضة

---

(٢٦) مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥١ • انظر أيضا قول الغزالى فى كتابه فضائح الباطنية للرد عليهم : « أما الباطنية فانما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والاخبار بواطن تجرى فى الظاهر مجرى الاباب فى القشور وانما بصورها توهم عند الجهال الاغنياء صورا جليه وهى عند العقلاء والاذكياء رموزا واشارات الى حقائق معينة ، نشر د . عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١١ — ١٧ •

لامامة أبى بكر وعمر ، وترى كما يرى الشيعة عموما أن عليا أحق بالخلافة بعد النبى عن طريق النص عليه بالاسم • فالامامة عندهم ليست من المصالح العامة التى تفوض الى نظر الامة ، وأنما هى ركن الدين والاسلام ولا يمكن للنبى أن يتركها للامة ، بل كان عليه تعيين امام لهم معصوبا من الخطأ ، وأن عليا هو الذى عينه النبى اماما بعده » (٢٧) •

ان التفسير التاريخى المنطقى لعلاقة البربر بدعوة التشيع ، وقبلها دعوتى المعتزلة والخوارج ، يمكن تعليله بأنه كان قبولا من النمط الاجتماعى فى علاقات لسلطة القبلية عند البربر • وهذا ما يفسر أخذهم أيضا فى هذا الصدد بشعائر التقديس الحركية مثل الركوع فى حضور الامام وتقبيل الارض بين يديه • ومن نفس المنطق كان رفضهم للتشيع وأنضمامهم الى فقهاء المالكية فى الثورة على الشيعية ، عندما أثقل الفاطميون بتنظيماتهم الاقتصادية على الاهالى (ضريبة التصنيع) ، وعندما تعدوا بنزاعهم حدود الصدام مع المالكية الى الصدام مع الخوارج الرستميين والمدراريين والادارسة فضلا عن الاغالبة ، وأستندوا فى ذلك

---

(٢٧) فى ذلك يقول د . العبادى : « ويستشهدون فى ذلك بوصية الرسول عقب حجة الوداع حيث قال : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم والى من والاه وعاد من عاداه ، وقوله : على منى بمنزلة هارون من موسى » . ثم يتعرض لنشأة فكرية الوصية : « ولقب على بالوصى ، بينما لقب من جاء بعده بالائمة ومرتبة الوصاية عندهم أعلى من مرتبة الامامة وتلى مرتبة النبوة . وأنتشرت الوصية بين الشيعة عامة والفاطميين خاصة ، وقالوا أن الامامة تنتقل من الآباء الى الابناء ولا تنتقل من أخ الى أخ بعد انتقالها من الحسن الى الحسين . فالاب ينص على ابنه فى حياته ، ولا يقوم النص فى الامامة على اساس تولية الابن الاكبر ، فالامام يستطيع أن ينص على أى ابن له ، فهذا أمر يخصه وحده لانه يتلقى علمه ووحيه من الله » (المرجع السابق ص ٥٣—٥٤)

أساسا على عصبية قبائل كتامة وأحتراف الجندية عند الصقالبة (٢٨) .

د ــ أنتصــار الفكــر المــالكى :

ومع فقدان البربر للنمط الاجتماعى من جانب الثورة المذهبيـــة للشيعة والمعتزلة ، ولم يتبق من هذه الثورة سوى الجانب الفكرى ويتعلق بتفسير سلطة الامامة والشريعة . وهنا يغدو الفكر المالكى وثورتهالسلفية أكثر قبولا وأقل تعقيدا ــ الامر الذى أتاح للمالكية خط انتصارهـــا التاريخى على دعوات اعتزالية وخارجية و شيعية ، ارتبطت جميعا عنـد البربر بالنمط الاجتماعى فى أصول فكرهم البسيط .

وقدر لتاريخ المغرب أن يشهد فى حقبته التالية معالم انتصار المالكية التى بلغت أوجها على أيدى المرابطين . ولكن فى نطاق ما حمله البربر من ميراث الدعوات المذهبية المذكورة ، وما انصهر منها فى حياتهم البيئية أو الاجتماعية ، كما قدر لهذا التاريخ أن يشهد أيضا الانتكاسة الكبرى التى تعرضت لها المالكية ببعث ميراث الفكر الخارجى والاعتزالى والشيعى فى الدعوة الموحدية . وفى كلا الحالتين ، لم يكن يهم البربر من فكر هـــذه المذاهب غير الجانب الاجتماعى فى مبادئها حسبما أشرت .

وهكذا كان السبيل الاول والطبيعى الى أنتصار المالكية على الشيعة الفاطمية حيث ذهبت فى هذا السبيل الى حد الانحياز لثورة أبى يزيد بن

---

(١٨) محمود اسماعيل ، المالكيون والشيعة ، ص ١٠ــ١١ . ويذكـر الدكتور محمود اسماعيل بعض تلك الاحكام المتمثلة فى « اسقاط الرجم عـــن المحصين فى الزنا ، واسقاط الصلاة خير من النوم من الآذان واضافة حى على خير العمل وعلى خير البشر ، والصلاة بالعلامة والفطر بها لا الرؤية ، وتحليل المطلق ثلاث واسقاط ايمان الحرج » .

كيداد الخارجى [٢٩] • على أن السند الاكبر فى هذا الانتصار جاء من طريق آخر هو الطريق السياسى عبر الدولة الاموية فى الاندلس ، ففى هذا العهد تحول الصدام بين المالكية والشيعة من خلاف كلامى مذهبى وصدام قبلى اجتماعى بين أنصارها الى صدام سياسى ثم عسكرى مسلح [٣٠] •

وفى هدا الصراع اعتمد الامويون فى الاندلس على قبيلة زناتة المناهضة لقبيلة كتامة التى أعتمد عليها الفاطميون ، فعمل عبد الرحمن الناصر على استمالة زناتة وبنى صالح أصحاب نكور وأتخاذها سلاحا يشهره على الفاطميين وأنصارهم صنهاجة وكتامة [٣١] • وواضح من انتقال الخلافة الفاطمية الى المشرق منذ (٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م) والتحول بسلطان دولتها الى مصر أن الانتصار فى النهاية كان من نصيب الخلافة الاموية والمذهب المالكى فى الاندلس والمغرب • وفيما يتعلق بالجانب السياسى لم يتبق من النفوذ الشيعى فى بلاد المغرب غير ما كانت تمثله

---

(٢٩) هو أبو زيد مخلد بن كيداد اليفرنى الزناتى الخارجى ، ثار على الدولة الفاطمية فى الفترة من ٣٢٢ هـ الى ٣٣٦ هـ . وكانت له علاقات مع الخليفة الاموى بالاندلس (الناصر) الى حد تبادل السفارات مع الخليفة عبد الرحمن الناصر ورغم ذلك فشلت تلك الثورة وأنتهت بقتل صاحبها فى عام ٣٣٦ هـ /٩٤٨م (أنظر ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣١٩—٣٢٢ . د . سالم ، المغرب الكبير ص ٦٢٢—٦٣١) .

(٣٠) د . محمود على مكى ، التشيع فى الاندلس ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٥٤ ، المجلد الثانى ، ص ١١٢—١١٥ .

(٣١) د . سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص ٢٨٦—٢٨٨ . د . أحمد مختار العبادى ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، مقالة بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٥٧ ، المجلد الخامس ، ص ٢٠٥ .

امارة بنى زيرى فى الطور الاول من حكمها • بينما قابل النفوذ الشيعى لبنى زيرى فى هذه المرحلة سيطرة زناتة على المنطقة الواقعة ما بين ملوية وطنجة وهى ما تعرف بالريف • ثم كان من أمر قطع بنى زيرى الخطبة الخليفة الفاطمى سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م والتحول بالدعاء للخليفة القائم بأمر الله العباسى وتحول المغرب الى المذهب المالكى •

عاد المذهب المالكى يسيطر من جديد على مسرح الاحداث فى أنحاء بلاد المغرب (٣٢) • بل صارت له فى الارض المغربية دولة كبرى هى دولة المرابطين وأملاكها فى الاندلس ، ولم تعد المالكية المغربية كما كانت مذهبا لعدد من القبائل تتطلع الى حماية امارة محلية فى أحد أطراف المغرب ، أو الى الاندلس أو حتى الى الخلافة العباسية البعيدة فى بغداد ثم فى القاهرة وفى ظل الحماية السياسية التى تكفلها دولة المرابطين القوية ، لم يعد فقهاء المالكية بعد أن امتدت دولة المرابطين الى الاندلس يرتبطون كما كان العهد فى الماضى بروابط اجتماعية مع القبائل • وعندما يمضى من عمر الدولة المرابطية أكثر من قرن لتنهار أمام ضربات الموحدين لانكاد نعثر فى المصادر التاريخية على دلائل لتفسر عوامل انهيارها السياسى ، وعندئذ نجد ملامح هذا التعليل ممثلة فى علاقات البادية التى وقع على قبائلها كاهل اندلاع الثورة الموحدية وأنتصارها السريع على الدولة المرابطية • وقد سبقت الاشارة الى أن المالكية والخوارج قد تحالفوا فى ثورة يزيد بن مخلد اليفرنى ضد الاسماعيليين العبيديين • وبعد هذا العمر الطويل

---

(٣٢) عن سيطرة المالكية أنظر : الخشنى ، طبقات علماء افريقية ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، الدباغ ، معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ، ج ١ ، ص ٥٥ ، ٦٦ ، ٨٦—٨٧ ، ١٥٥ .

من تحول المالكية الى مذهب رسمى للدولة المرابطية على حساب المذاهب الاخرى بين قبائل البادية المغربية ، مالت هذه المذاهب الى التعمق أكثر فى الحياة الاجتماعية للقبائل وأنتهت الى منظومة جمعت ميراث هذه الاصول المذهبية والاجتماعية • وفى هذا الصدد ، كانت قبيلة مصمودة أنموذجا مثالبا للثورة على الحكم المرابطى انطلاقا من الميراث المذهبى الاجتماعى المذكور • فهم أصلا من الروافض البجلية الشيعة المنسوبين الى عبد الله البجلى الرافضى الذى كان قد قدم الى السوس ونشر هنالك مذهبه الذى توارثته أجيال القبيلة من بعده (٣٣) • وقد سار فيهم يوسف بن تاشفين المرابطى فى سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م وقتل منهم خلقا كثيرة وأخذ أموالهم غيئا للمرابطين ، وأمرهم « باقامة العدل وأظهار السنة فيها وألزمهم الزكاة والعشر وأسقط ما سوى ذلك من المغارم المحدثة »(٣٤)

هـ ــ الفكر الموحدى التومرتى :

وعلى هذا النحو كان فكر ابن تومرت خلاصة هذا الميراث سواء فى بادية موطنه و فى غيرها من بوادى الشمال الافريقى التى مر بها فى رحلته المشرقية ، ووقف على ذلك أيضا فى ريف مصر حيث ساد المذهب الشافعى بينما كانت المالكية فى خارج البوادى والقرى ، المذهب الرسمى لمجتمع المرابطين فى مراكش • وهكذا اجتمع هذا الميراث الفكرى والاجتماعى الذى

---

(٣٣) انظر كيف دخلت قبائل صنهاجة وبطونها فى الدعوة المرابطية حتى أسلمت اسلاما تاما . ابن أبى زرع ، القرطاس ، ص ١٢٤ــ١٢٦ ، وأهمها لمتونة الذى أراد لها الله أن تملك أمرهم على المغرب والاندلس ، ثم كيف تم فتح بلاد المصامدة الروافض ص ١٢٨ــ١٢٩ . وعن سقوط الدولة المرابطية وأسبابها أنظر : د . سالم ، المغرب الكبير ، ط بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٧٤٢ ــ ٧٤٤ .

(٣٤) ابن أبى زرع ، نفس المصدر ، ص ١٢٩ .

خرج به ابن تومرت فى رحلته المشرقية الممتدة زمنيا ، ويصبح الفكـــر الموحدى فى النهاية حصيلة طبيعية لهذا التراث ، ومن ثم تنتفى الدهشة المنطقية المحيطة بانتصار الثورة الموحدية وسقوط الدولة المرابطية (٣٥) .

وكانت الاضافة المشرقية الواضحة فى هذه الثورة ما يتعلق بفكرة الخلافة أو الامامة التى أطلقها ابن تومرت فى طليعة ثورته بل ربما كانت المدخل الرسمى الى الصدام مع أمير المسلمين فيما جرى من حديث بين ابن تومرت وعلى بن تاشفين . فالصورة المشرقية للخلافة الاسلاميـــة التى وقف عليها ابن تومرت لا تحتاج الى مزيد من الحديث أو التعليق . ومع واقع التردى فى هذه الصورة ، ظل أمراء المرابطين يتمسكون بلقـــب أمير المسلمين وما يحمله من تبعية روحية للخلافة المشرقية (٣٦) .

وقد تكون أصول الاضافة المذكورة ممثلة فى فكر البادية المغربية ، ولعل هذا يتضح فى مخاطبة أشياخ قبيلة ابن تاشفين لزعيمهم بقولهم له : « أنت خليفة الله فى أرضه وحقك أكبر من أن تدعى بالامير بل ندعـــوك بأمير المؤمنين » . فقال لهم : « حاشا الله أن نتسمى بهذا الاسم أنمـــا يتسمى به خلفاء بنى العباس لكونهم من تلك السلالة الكريمة لانهم ملوك الحرمين مكة والمدينة وأنا راجلهم والقائم بدعوتهم ، فقالوا له : « لابد

---

(٣٥) عن سقوط الدولة المرابطية يرى د . سالم فى تعليل المراكشى لحالة الضعف التى أصابت دولة المرابطين بالاختلال الذى طرأ على آخر دولة على بن يوسف نتيجة تخاذلهم وتواكلهم وطاعتهم للنساء أنه قالة ظالمة وتحامـــل صريح وتجاهل لحقيقة الاوضاع السياسية ؛ وهذا يبرر تحيز المؤرخ المراكشى للمصامدة الموحدين وميله الى قضيتهم (المغرب الكبير ، ص ٧٤٢) .

(٣٦) حسن محمود ، قيام الدولة المرابطية ، ص ٣٣٥ — ٣٣٦ . عبـــاس الجرارى . وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ ، الرباط ، ١٩٧٦ ، ص ١٨—١٩

من أسم تمتاز به » [٣٧] . وتمت الخطبة له بذلك على منابر العدوتين وأمر عماله بذلك فكتب ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، من أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين الى الاشياخ والاعيان والكافة من أهل فلانة أدام الله كرامته بتقواه ، ووفقهم لما يرضاه ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد حمد الله أهل الحمد والشكر وميسر اليسر ، وواهب النصر والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان والذكر ، وانا كتبناه اليكم من حضرتنا العلية بمراكش حرسها الله ، فى منتصف محرم سنة ست وسنين وأربعمائة ، وأنه لما من الله علينا بالفتح الجسيم ،وأسبغ علينا من نعمه الظاهرة والباطنة برود النعيم ، وهدانا وهداكم الى شريعة نبينا محمد المصطفى الكريم ، صلى الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، رأينا أن نخصص أنفسنا بهذا الاسم لنمتاز به على سائر أفراد القبائل وهو أمير المسلمين وناصر الدين ، فمن خطب الخطبة العليةالسامية فليخطبها بهذا الاسم ان شاء الله تعالى والله ولى العدل بمنه » [٣٨] .

ولكن الاخذ بهذه التبعية للخلافة العباسية فى بدء قيام الدولة المرابطية وأيام قوة الدولة العباسية شىء والاستمرار فيها شىء آخر بعد تحلل قوة هذه الدولة العباسية . وجاءت فكرة المهدى ابن تومرت بشأن نسبه النبوى تبطل الحجة المالكية التى جعلت يوسف بن تاشفين

---

(٣٧) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، القسم الثالث ، ط الدار البيضاء ، ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

(٣٨) مجموعة الرسائل ، رسالة رقم ٥٢ ، ص ١٠٦—١٠٧ . مجهول ، الحلل الموشية ، تحقيق علوس ، ص ١٧ — ١٨ .

لا يقدم على التلقب بالخلافة لانه ليس من السلالة النبوية • وأستكمل ابن تومرت منظومته حين أنتقل بالاشعرية من اطارها الفقهى المذهبى الى تعاليم المرشدة الموحدية الملزمة فى التطبيق الى حد التمييز ، والبالغة فى التفسير الى حد القول بعصمة الامام •

يقول ابن تومرت عن منطق « المرشدة » فى صفات الله ومن ثم فى مضمون العلاقة بين الامامة والرعية : « اعلم أرشدنا الله واياك أنه وجب على كل مكلف أن يعلم أن الله عز وجل واحد فى ملكه خلق العالم بأسره العلوى والسفلى والعرش والكرسى والسماوات والارض وما فيهما وما بينها وجميع الخلائق مقهورون بقدرته لا تتحرك ذرة الا بأذنه ليس معه مدبر فى الخلق ولا شريك فى الملك حى قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، عالم الغيب والشهادة ، لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء ، يعلم ما فى البر والبحر ، ما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا ، فعال لما يريد ، قادر على ما يشاء ، له الملك والغنى وله العزة والبقاء ، وله الحكم والقضاء ، وله الاسماء الحسنى ، لا دافع لما قضى ، ولا مانع لما أعطى ، يفعل فى ملكه ما يريد ويحكم فى خلقه بما يشاء ولا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ، ليس عليه حق ولا عليه حكم ، فكل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، موجود قبل الخلق وليس له قبل ولا بعد ، ولا فوق ولا تحت ، ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ، ولا كل ولا بعض ، لا يقال متى كان ولا أين كان ، ولا كيف كان ولا مكان ، كون المكان ودبر الزمان ، لا يتقيد بالزمان ولا يتخصص بالمكان ، لا يلحقه وهم ولا يكفيه عقل لا ينحصل فى الذهن ولا

يشتمل فى النفس ولا يتصور فى الوهم ولا يتكيف فى العقل لا تلحقه الاوهام والافكار ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » (٣٩) .

وفيما تلى ذلك من أخبار نشأة الدعوة الموحدية ووقائعها الادارية والحربية والقبلية ، ينحسر أكثر الجانب الفقهى المذهبى من دعوة التوحيد التومرتية ، فيبدو هذا الجانب مجرد شكل نظرى أحاط بالميراث المذهبى — الاجتماعى عند بربر البوادى المغربية . وبذلك ، تتأكد نهاية الاشعرية كمذهب فقهى مشرقى وأثر مذهبى من آثار رحلة ابن تومرت المشرقية ، وتبدو فى تاريخ الحركة الموحدية مجرد مذهب فقهى مرحلى استهدف مقارعة المذهب المالكى فقهيا أو مجرد فرع من الفروع التى أخذ منها الفكر الموحدى فى تفاصيل حركته التاريخية .

لذلك فان مؤرخا مثل ابن أبى زرع ، وقف من الحركة الموحدية موقفا عدائيا ، يصورها بقوله : « .. فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز ، لانه وجدهم قوما جهلة لا يعرفون شيئا من أمور الدنيا ولا من أمر الدين ، فأستهواهم بكيده ، وغلبهم بعذوبة لفظه ... حتى كانوا لا يذكرون غيره ، ولا يمتثلون أمرا الا أمره ، يستغيثون به فى شدائدهم ، ويتبركون بذكره على موائدهم ويقولون هذا الامام المعلوم المهدى المعصوم على منابرهم ، فدخل الناس فى طاعته أفواجا ، وأتخذوا سنته شريعة ومنهاجا ، فرتب العشرة والخمسين وتمكن فى الملك أى تمكين . وسمى العشرة من أصحابه السابقين الاولين وجعل الخمسين للرأى والمشورة ، وعقد لنفسه الامامة والنظر للمسلمين » (٤٠) .

---

(٣٩) مجهول ، الحلل الموشية ، ص ٩٦ . كتاب الوثائق ، ج ١ ، وثيقة رقم ٧٨ ، ص ٢٢٧ . ابن القنفذ ، الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ٢١١ .

(٤٠) ابن ابى زرع ، القرطاس ، ص ١٧٦ — ١٧٧ .

وهناك من المؤرخين من وقف من نفس الحركة موقفا عكسيا (٤١) لابن أبى زرع ومنهم ابن خلدون الذى صور الدعوة الموحدية بقوله : « ويلحق بهذه المغالاة الفاسدة والمذاهب الفاشلة ، ما يتناقله الرأى من فقهاء المغرب ، من القدح فى الامام المهدى صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشعوذة والتلبس ، فيما أتاه من القيام بالتوحيد الحق والنص على أهل البغى قبله ، وتكذيبهم لجميع مدعياته فى ذلك ، حتى فيما يزعم الموحدون أتباعه من أنتسابه الى أهل البيت • وأنما حمل الفقهاء على تكذيبه ماكمن فى نفوسهم من حسده على شأنه فأنهم لما رأوا فى نفوسهم مناهضة فى العلم والفتيا والدين بزعمهم ، ثم أمتاز عنهم بأنه متبوع الرأى مسموع القول ، موطأ العقب ، نقموا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح فى مذاهبه والتكذيب لمدعياته • وأيضا فأنهم كانوا عليه من السذاجة وأنتحال الديانة ، فكان لحملة العلم بدولتهم مكان من الوجاهة والانتصاب للشورى حل فى بلده وعلى قدره فى قومه ، فأصبحوا بذلك شيعة لهم وحربا لعدوهم ، ونقموا على المهدى ما جاء به من خلافتهم والتثريب عليهم والمناصبة لهم ، تشيعا للمتونة وتعصبا لدولتهم • ومكان الرجل غير مكانهم وحاله غير معتقداتهم • وما ظنك برجل نقم على أهل الدولة ما نقم من أحوالهم وخالف أجتهاده فقاءهم ، ونادى فى قومه ودعا الى جهادهم بنفسه ، فأقتلع الدولة من أصولها وجعل عاليها سافلها ، أعظم ما كانت قوة وأشد شوكة وأعز أنصارا وحامية • وتساقطت فى ذلك من أتباعه نفوس لايحصيها

---

(٤١) من بين من امتدح مذهب ابن تومرت من الفقهاء الشيخ السنوسى فى قوله : « أجمعت الائمة على صحة هذه العقيدة وأنها مرشدة رشيدة ولم يترك أحسن منها وسيلة ، نفعنا الله واياك بعقد عقيدتها الجليلة » (أنظر : ابن القنفذ، الفارسية ، ص ٢١٠) .

الا خالقها • قد بايعوه على الموت ووقوه بأنفسهم الهلكة وتقربوا الـــى الله تعالى باتلاف مهجهم فى اظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة • حق علت على الكلم ودالت بالعدوتين من الدول ، وهو بحالة من التقشـــف والحصر والصبر على المكاره والتقلل من الدنيا ، حتى الولد الذى ربمـا تجنح اليه النفوس وتخادع عن تمنيه • وهو لم يحصل له حظ من الدنيا فى عاجلة ؟ ومع هذا فلو كان قصده غير الصالح لما تم أمره وأنفسحت دعوته سنة الله التى قد خلت فى عباده » (٤٢) •

وتكاد هذه الصورة التى قدمها ابن خلدون تطابق ما نذهب اليه من تعدد الفروع ــ مذهبية وأجتماعية ــ التى أخذت منها الدعوة الموحدية وحركتها التاريخية • وظهر ابن أبى زرع كما رأينا وكأنه اكتفى مـــن الصورة المذكورة بوجهها المعتم فى نظره • وأقترب من هذا التفسير باحث مغربى (٤٣) • جعل مبدئى العصمة والامامة ، ومن ثم فكرة المهدية بوجـه عام فى الدعوة الموحدية ، من أصول الاتجاه السياسى لا المذهبى عنـــد ابن تومرت •

وفى نطاق نفس التفسير يمكن قياس حجم الاختلاف فى الرأى بين الاسانيد حول مسألة الاخذ بعصمة الامامة فى المهدية الموحدية ، مـن حيث الميل فى التفسير الفقهى عموما الى الاخذ بالظاهر حسبما ذهـــب ابن حزم ، ومن حيث وصل التفسير بالعصمة فيما كان يعن من أمور فى التطبيق حسبما نقرأ من أخبار ابن تومرت وأحداث ثورته على ألسنـــة

---

(٤٢) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٤٦٤ . وأنظر أيضا عن نفس النص فى : عبد الله جنون : النبوغ المغربى ، ج ١ ، ص ٩٩ ــ ١٠٠ .
(٤٣) الجرارى ، الموحدون ثورة سياسية ، ص ١٠٣ .

المؤرخين • وفى هذا الصدد ، يصل الباحث المغربى المذكور الى حد الدفع عن المهدى الاخذ بعصمة الامامة استنادا الى وجود آثار فى فكر ابن تومرت لمذهب ابن حزم الظاهرى الذى لا يرى بهذه العصمة فى القول :

« أنه يقع من الانبياء السهو من غير قصد ويقع عنها أيضا قصد الشىء يريدون به وجه الله تعالى والتقريب به منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى الا أنه لا يقرهم على ذلك ولا يداثر وقوعه منهم ويظهر عز وجل ذلك لعباده ويبين لهم » (٤٤) • وسبق الى هذا الرأى المستشرق الاسبانى أنخل جنثالت بالنثيا فى قوله : « وقد مال محمد بن تومرت مهدى الموحدبن الى مذهب ابن حزم اذ وجد فيه ما يؤيد دعوته ووصل نفر من فقهاء الحزمية الى كبار المناصب » (٤٥) • كذلك رأى جولد تسيهر (٤٦) تأثر المهدى بابن حزم من خلال التشابه الكبير فى مواقفهما من المالكية ومن صفات الله وأعتمادها على الظاهر فى مسائل كثيرة • ومع ذلك ، فان عصمة الامامة عند ابن تومرت يؤكدها آخرون مثل صاحب « المعجب » (٤٧)

---

(٤٤) ابن حزم ، الفصل فى الملل والنحل ، ج ٤ ، ص ٢ — ٣ .

(٤٥) انخل جنثالت بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٣٨ .

(٤٦) عن الجزارى ، الموحدون ، ص ١٠٩ . وتظهر سلفية ابن تومرت الظاهرية فى مواضع منها حديثة عن اسماء الله الحسنى التى لا يجوز فيها فى رأيه قياس او اشتقاق أو اصلاح ، فعنده ان : « أسماء البارى سبحانه موقوفة على اذنه لا نسمى الا بما يسمى به نفسه فى كتابه أو على لسان نبيه لا يجوز القياس والاشتقاق والاصطلاح فى أسمائه ويسمى المخلوق فقيها سخيا لعلمه وكرمه ولا يقاس عليه الخالق سبحانه ، ويسمى المخلوق راميا قائلا لرميه وقتله ، ولا يقاس عليه الخالق سبحانه ويسمى المخلوق زيدا وعمرا يولد ليس له اسم فيصطلح عليه اسمه وليس للمخلوق ان يتحكم على خالقه فيسميه بما لم يسم به نفسه فى كتابه ، ما نفاه عن نفسه فى كتابه نفاه عنه ، وما أثبته لنفسه أثبته له من غير تبديل ولا تشبيه ولا تكييف يسميه بأسمائه الحسنى ويدعوه بهما » . (انظر ، البيذق ، أعز ما يطلب ، فصل فى أسماء الله تعالى ، ص ٢٣٧) .

(٤٧) المراكشى ، المعجب ، ص ١١٢ .

وصاحب « الاستقصا » • وهذا الاخير قد وصف ابن تومرت قائلا : «أنه مأمور بنوع من الوحى والالهام •• وعليه نزعة خارجية •• ويبشر الى الكوائن الآتية » (٤٨) • وفى هذا الصدد ، يذكر البيذق أن المهدى كان يردد على طلبته « انما الله اله واحد ، والرسول حق ، والمهدى حق ، فاقرأوا حديث أبى داوود تعرفوا الامر ، وعليكم بالسمع والطاعة » (٤٩) كما يذكر أيضا أن المهدى قال لاتباعه « لو شئت لعددت خلفائكم خليفة خليفة » (٥٠)

والظاهر عموما فى الدعوة الموحدية وأصولها الفكرية أن ابن تومرت كقاعدة كان يقرن أقواله وأفعاله بسمات الصوفية فى ميراث بيئته • فعرف عن مهدى الموحدين أنه كان يلبس العباءة المرقعة والملابس الصوفية ، وتسمى بالعبد الفقير الى الله (٥١) ، ومال الى التقشف فى مأكله أيضا لا يزيد عما تقدمه له أخته من رغيف بقليل من سمن أو زيت ، ولم يتغيرعن هذه الحياة حتى عندما أقبلت عليه الدنيا • وساءه جدا عندما شاهد أصحابه يوما يتنافسون على ما كسبوه من غنائم ، فأمر بجمع الغنائم

---

(٤٨) السلاوى ، الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

(٤٩) البيذق ، أخبار المهدى ، ص ١٧ .

(٥٠) البيذق ، نفسه . ابن حزم ، الفصل فى الملل والنحل ، ج ٤ ، ص ١٨٨ وقد قال المهدى عن امامته : « .. ما من زمان الا وفيه امام ، قائم بالحق فى أرضه من آدم الى نوح ، ومن بعده الى ابراهيم » قال الله تعالى : « أنى جاعلك للناس اماما ومن ذريتى قال لا ينال المهدى الظالمين » . سورة البقرة آية ١٢٤ . أنظر أيضا : نجاح صلاح الدين القابسى ، رحلة ابن رشيد السبتى ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٨ ، ص ٥ .

(٥١) السلاوى ، المصدر السابق . آدم ميتز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٢ ، أنظر : أيضا :

— Amedroz; Notes on Some Sufi Lives, London, 1916, p. 558.

وأحراقها جميعا ، وقال لهم : « من كان يتبعنى لاجل الدنيا فليس لـــه عندى الا ما رأى ، ومن يتبعنى للاخره فجزاءه عند الله » (٥٢) وكان دائما ما يتمثل بهذا البيت :

تجــرد مــن الــدنيا فانــك انمــا
خــرجت الى الــدنيا وأنت مجــرد

وتمسك بقول أبى الطيب المتنبى عن الموت :

اذا غامـــــرت فى شرف مـــــروم
فلا تقنــع بمــا دون النجــــــوم
فطعم المـــــوت فى أمـــــر حقيــر
كطعم المــوت فى أمـــــر عظيم (٥٣)

وبلغ ابن تومرت فى تنسكه الصوفى الى حد أن ظل حصــورا لا يأتى النساء حتى أنه كان « شديد التقشف والزهد والورع ، لم يلبس قط سوى ثياب الصــوف من قميــص وسراويل • ولا يقبــل على شىء من متــاع الدنيا»(٥٤) • ويقول ابن خلدون : « هو بحالة من التقشف والحصر والصبر على المكارهة والتقلل من الدنيا »(٥٥) • لذلك جاءت مؤلفات ابن تومرت فى نفس المجال ، وعلى حد قول صاحب الحلل الموشية : « انه ألــف لهم كتابا سماه بالتوحيد باللسان البربرى وهــو سبعة أحــزاب بعدد أيام الجمعة وأمرهم بقراءة حزب واحد منه اثر صلاة الصبح بعد الفراغ من حــزب

---

(٥٢) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٥٥ .
(٥٣) ابن تغرى بردى ، نفسه .
(٥٤) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٥٢ (طبعة بيروت) .
(٥٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ط بولاق ، ص ٢٢ . أنظر أيضا :
— Amedroz, Op. Cit., p. 558.

القرآن • وهو يحتوى على معرفة الله تعالى وسائر العقائد كالعلم بحقيقة القضاء والقدر والايمان بما يجب الله تعالى وما يستحيل عليه وما يجـور على المسلم من الامربالمعروف والنهى عن المنـكر ووافى بينهم وألف كتابا سماه بالقواعد وآخر بالامامة »[٥٦] • ومن ثم فقد تسمى العارفون بتعاليم كتاب التوحيد بالموحدين وقال لهم المهدى من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بموحد ، وانما هو كافر لا تجوز امامته ولا تؤكل ذبيحته •

وكانت الوقعة الحربية التاسعة فى تاريخ حروب الموحدين والمرابطين، المعروفة باسم البحيرة (٥٢٤هـ ــ ١١٣٠م) مناسبة أظهرت بشكل واضح ما تضمنته الدعـوة الموحـــدية أصـول فكرها فى المـيراث المـذهبى الاجتماعى[٥٧] •

فالهزيمة الفادحة التى تلقاها الموحدون فى هذه الوقعة ، وأعقبها موت المهدى بعد ثلاث سنوات ، قد استدعت أكثر من أى وقت مضى ذلك المسلك السياسى ــ المشار اليه عاليا ــ فى الاستناد الى القول بعصمة الامامة والى مسايرة فكرة الميراث البيئى للمقولات الشعبية الغيبية المتداولة فى معتقدات البوادى المغـربية عامة وبين تجمعاتها الصـوفية التقليدية على وجـه الخصوص •

وترتبط نهاية حياة المهدى ابن تومرت بحوار الفكر البيئى أو الغيبى عن مونه ، مما يعنى ارتباط فكر العقيدة الموحدية بالتراث البيئى للقبـائل المغربية • ومن ثم تبلغ تعاليمه المرشدة بين الموحدين درجة القدسية تلى

---

(٥٦) مؤلف مجهول ، الحلل ، ص ٨٩ ــ ٩٠ .
(٥٧) البيذق ، أخبار المهدى ، ص ٣٨ .

درجة القرآن فى الاسلام عموما ، بحيث أصبح قبره فى تينملل قبلة هؤلاء ، يهرعون اليـــه فى أزماتهم ، ويتبركـــون بأثره ، ويشفعـــون به فى أوقات شدائدهم : وصار يقينا بذلك أن درج المهدى الموحدى فى قائمة المهدويين فى تاريخ الاسلام ، فهو يعد المهدى المنتظر الثانى بعـــد عبيد الله الفاطمى (مهدى سجلماسة)(٥٨) .

ومع ذلك ، فقد كان لهزيمة الموحدين فى وقعة البحيرة جانب قبـــلى يتعلق بدا يعرف بالتمييز ، حسبما أوردناه آنفا عندما تعرضـــنا للاحداث السياسية والحربية وأثرها فى قيام الدولة الموحدية . وقد تبين لنا عنـــد حديثنا عن التمييز أن الامر بالنسبة للقبائل يتعلق أيضا ببذور قوية ذات طابع اجتماعى حملها الميراث الفكرى المغربى الذى استمدت منه الحـــركة الموحدية دعوتها واستيقظت فى اطاره قبائلها باسم الثورة المـــذهبية على فقهاء المالكية والثورة السياسية على الحكم المرابطى .

وهذا يعنى أن الاصل فى الثورة الموحدية وفى التفاف القبائل المغربية حولها لم يكن يستهدف الاخذ بمذهب من مذاهب الشرق الفقهية كما يعنى أن الوضع السياسى والمذهبى للخلافة الامامية فى الشرق لم يكن الدافـــع الذى جمع هذه القبائل للخـــروج وراء الموحـــدين فى حرب جهادية تتفجر أساسا فى حياة ابن تومرت ضد المرابطين وفقهاء مذهبهم المالكى . كذلك لم يكن الخلاف فى التفسير الفقهى بين ما ذهبت اليه المالكية وما جاءت به المرشدية الموحدية السبب فى صمود المصامدة وراء الموحدين بعد نكستهم

---

(٥٨) بويع مهدى سجلسماسة فى سنة ٢٩٧ هـ أى قبل مبايعة ابن تومرت بنحو مائة وثلاث وتسعين سنة ، فى سنة ٥١٥ هـ (أنظر ، الجرارى ، الموحدون ، ص ١٠٥) .

الكبرى فى وقعة البحيرة • وأغلب الظن أن هذه الدوافع فى مجموعها تلاقت مع ما كانت تحمله البـــوادى المغـــربية وقبائلها من ميراث الفكر الذهبى الاجتماعى فى المغرب الرافض للاحتـــكار المذهبى المالكى ومن ثم للحـــكم المرابطى وما كان يحمله من سلبيات اجتماعية • لذلك ، جاء فكر الموحدين ترجمة صادقة لهذا التلاقى فيما رأيناه من شواهد لم تبعد كثيرا عن أصول هذا الفكر •

(٢)

فقهاء الفكر الصوفى المغاربة فى المشرق

(أ) مدرسة الاسكندرية السنية :

لم تكن قوافل الحج المغربية فى القرنين الخامس والسادس تستهدف مجرد أداء فريضة الحج وانما اقترن هذا الهدف بفكرة الجهـــاد والاعتقاد بأن الاقامة فى الرباطات والحياة فى الثغور نوع من الجهاد ، وأن من يموت أثناء مقامه بها يعد شهيدا • لذلك جذبت الاسكندرية عددا كبيرا من علماء المسلمين عامة ، ومن علماء المغرب والاندلس خاصـــة • ولم يكن هـــؤلاء العلماء يكتفون بأخذ العلم وتلقيه أو سماعه بل شـــاركوا فى التـــدريس ، وترأسوا حلقات الدرس وبالتالى ذاع صيت الاســـكندرية كمركز لعلوم الحديث والفقه على المذهبين الشافعى والمالكى على عكس ما كان يتوقع من شهرة الأسكندرية كمركز للشيع فى عهد الدولة الفاطمية[٥٩] •

وفى هذا الصدد ، بلغ النفوذ المغربى فى مدرسة الاسكندرية الى حد

---

(٥٩) د . سعد زغلول ؛ الاثر المغربى فى المجتمع السكندرى ، ص ٢٢٩ .

التمكين من نقل مكتبتها الى المغرب وهى المكتبة التى كان عماد الدولة ابن أبى الفضل بن المحترق[٦٠] قد أثراها بعدد ضخم من الكتب • وكان نقلها الى المغرب بعد وفاته : « مما يعنى أن علماء المغـــاربة والاندلســـيين كان لهم بالاسكندرية شأن وأى شأن »[٦١] • فهل لنا وقفة أمام الترجمة لعدد من هؤلاء العلماء ؟

فمن أهم من برز من شيوخ الاســـكندرية وأعلامها فى هـــذا العصر الفاطمى عالم أندلسى ينتسب الى ثغر طرطوشة وأعنى به الفقيه العالم أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلـــف بن ســـليمان بن أيوب الفهـــرى الطرطوشى الاندلسى نزيل الاسكندرية المعروف بابن أبى رندقة • ولد فى عام ٤٥١هـ ــ ١٠٥٩م فى مدينة طرطـــوشة ؛ ورحـــل الى عـــدد من المدن الاندلسية الكبيرة للاستزادة من العلم ، فذهب الى سرقسطة واتصل بكبير علمائها القاضى أبى الوليد الباجى[٦٢] وأخذ عنه مسائل الخلاف ، وسمع منه وأجاز له •

غادر الطرطوشى وطنه فى سنة ٤٧٦هـ ــ ١٠٨٥م ليبدأ رحلتـــه الى المشرق فى الخامسة والعشرين من عمره أولا لاداء فريضة الحج ثم لتلقى العلم الاسلامى فى المشرق • فـــرحل الى مكة حيث أدى الحج ومنها الى

---

(٦٠) المقريزى ، الخطط ، ط مصر ، ١٣٢٤ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .
(٦١) د . سعد زغلول ، المرجع السابق ، ص ٢٣١ .
(٦٢) العماد الاصفهانى ، فريدة القصر ، ج ٣ ، ص ٤٧٢ . المقرى ، نفح ، ج ١ ، ص ٥٠٩ . راجع أيضا : د . عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٤ . د . جمال الدين الشيال ، أعلام الاسكندرية فى العصر الاسلامى ، ص ٥٠ ــ ١٠٠ ، وكتابة : أبو بكر الطرطوشى العالم الزاهد الثائر ، فى سلسلة أعلام العرب عدد ٧٤ ، لسنة ١٩٦٨ .

بغداد حيث كان يحكم نظام الملك — الذى يعتبر أول من أنشأ معاهد مستقلة للتعليم هى المدارس ، وأشهرها المدرسة النظامية ببغداد التى حملت اسمه. وقد شهد الطرطوشى نظامية بغـداد وهى فى أوج عظمتهـا ، وتتلمذ رغم مالكيته على يد معظم فقهائها ، وجلهم من الشافعيـة ومنهم أبو حامـد الغزالى وأبى بكر الشاشى(٦٣) .

وكان من الطبيعى أن يتأثر أثناء اقامته فى بغداد والبصرة بهـؤلاء الفقهاء والزهاد وعنهم أخذ نزعته فى الزهد والورع والتقشف حتى عده من كتب عنه واحدا من أقطاب المتصوفة الزاهدين .

ثم ترك العراق فيما يقرب من سنة ٤٨٠هـ — ١٠٩٥م وهـو فى سن الثلاثين الى الشام ، وجال بعدها فى عدد من المدن الشامية آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ورحل عنها سنة ٤٩٠هـ — ١٠٩٧م وهو فى سن الاربعين الى الاسكندرية . وفيها عاصر الطرطوشى محنة مصر على يد الوزير الافضل شاهنشاه بدر الجمالى عندما قتل نزار بن المستنصر الفاطمى ، وما صاحبها من عدم اقامة الشعائر الدينية ، ومنها عدم اقامة صلاة الجمعة فى مساجدها خوفا من الفتن .

حاول الطرطوشى اصلاح الاحوال بمقابلته الشهيرة للملك الافضل شاهنشاه . ثم عاد بعدها الى الاسكندرية فيتخذها منزلا ويبدأ فيها نشاطه الفكرى الذى عارض به مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد قاضى المدينة بسبب ترفه وبذخه واقباله على الدنيا ، ثم اعتقله الافضل وحدد اقامته حتى مقتـل الافضـل فى سـنة ٥١٥هـ —

---

(٦٣) ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٤٨ ؛ المقرى ، نفح ، ج ٢ ، ص ٢٩٣

١٢١١م • فلما تولى المـأمون البطائحى الوزارة أطلـق سراحـه ، فعاد الطرطوشى الى الاسكندرية حيث انكب على تأليف أهم كتبه«سراج الملوك» الذى استغرق منه سنة كاملة من شوال ٥١٥هـ الى شوال ٥١٦هـ/١١٢١ — ١١٢٢م[٦٤] •

كان الطرطوشى أديبا وشاعرا[٦٥] ، فأشاع فى الاسكندرية علما وفيرا وتتلمذ على يديه عدد كبير من الفقهاء من أهل الاسكندرية والوافدين اليها لا سيما من المغاربة • وكان قد كتب الى يوسف بن تاشفين يدعوه الى تحرى العدالة والدين ، كما كتب اليه القاضى عياض من سبتة وطلب اجازته بجميع رواياته ومصنفاته ، فأجازه رغم عدم رؤيته ومقابلته • وحرص محمد بن تومرت على مقابلته والاخذ عليه أثناء رحلته المشرقية ، وتوفى الطرطوشى فى سنة ٥٢٠هـ / ٦—١١٢٧م[٦٦] •

وكان كتاب « العوفية » من الذخائر العلمية التى عرفتها خزانة سلطان المغرب عن مدرسة الاسكندرية ، وعلى حد قول صاحب الديباج المذهب : « ولمـا قدم من المغرب ابنا الامام أبى زيد وأخوه نسخاه وأنفقا على نسخه مالا عظيما . وهو الان فى خزانة سلطان فاس بالمغرب »[٦٧] • والمعروف أن مؤلف « العوفية » هو نفيس الدين أبو الحرم المكى ، والعوفية هى نسبة

---

(٦٤) العماد ، فريدة القصر ، ج ٢ ص ٢٩٠ . وراجع ترجمته فى : ابـن بشكوال ، كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الاندلس ، مجلد ٢ ، مدريد ١٨٨٣ ، ص٥١٨ أنظر ايضا : د . سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٢٢٣ .

(٦٥) العماد ، فريدة القصر ، ج ٢ ، ص ٢٩١ — ٢٩٢ .

(٦٦) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٠٠ .

(٦٧) ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص ٩٥ — ٩٦ .

الى أبيه أبى الطاهر بن عـوف[٦٨] الذى كان أول من درس فى المدرسـة الصوفية أو الحافظية الفاطمية[٦٩] وحظى أبو عوف بمكانة مرموقة لدى صلاح الدين الايوبى الذى أصدر له سجلا خاصا جاء فيه « .. فليعتمد رعاية المدرسة المذكورة ومن احتوت عليه من الطلبة واعزازهم ، والاشتمال عليهم ، والاهتمام بمصالحهم ، والتوخى على منـافعهم .. »[٧٠] . ومن هؤلاء التلاميذ المذكورين فى السجل عدد كبير من المغاربة ، بل أن ابن عوف نفسه كان ممن تتلمذ على يد الطرطوشى فى نفس المدرسة . ومن الجـدير بالذكر أن الطرطوشى تزوج خالة أبى الطاهر بن عوف[٧١] .

ومما لا شك فيه أن الاثر الذى أحدثته المدرسة الفقهية السـكندرية على تلاميذها يتضمن مؤثرات اسلامية شرقية بسبب اشتراك الفقيه العالم الحافظ أبى الطاهر أحمد بن محمد السلفى[٧٢] فى التدريس بها فى المدرسة

---

(٦٨) د . سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٢١٨ . حسن حسنى عبـد الوهاب ، الاسكندرية فى العصر الاسلامى ، ص ٣٨٣ ، الشيال : أعـلام الاسكندرية ، ص ١١٢ — ١١٥ .

(٦٩) أسسها الوزير رضوان بن ولخشى فى ثغر الاسكندرية فى سنة ٥٧٢هـ (١١٣٨ م) فى خلافة الحافظ لدين الله ، وتولى التدريس فيها الفقيه أبو طاهـر بن عوف شيخ المالكية بالثغر . د . سالم ، المرجع السابق .

(٧٠) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ١٠ ، ص ٤٥٨ — ٤٥٩ . وقد نشر النص بكامله د . جمال الدين الشيال فى : أعلام الاسكندرية فى العصر الاسلامى ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .

(٧١) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢١٢ — ٢١٣ . د . سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٢٢٣ .

(٧٢) ينتسب السلفى الى جده الاخير أبراهيم سلفه ، وسلفه بمعنى ثلاث شفاه لان شفته الواحدة كانت مشقوقة ، فصارت مثل شفتين غير الاصليـة ، وأن هذا اللقب فارسى الاصل ، لانه مركب من كلمتى « سى » بمعنى ثلاث و «لبة» أو « لفة » بمعنى شفة . أنظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ترجمة رقم ٤٤ ج ١ ، ص ١٠٧ ، العبدرى ، الرحلة ، ص ١١٤ . انظر عنها : الشيـال ، نفس المرجع ، ص ١٣٢ . أنظر أيضا : د . سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٢١٩ .

المنسوبة اليه وهى المدرسة السلفية أو العـادلية نسبة للوزير العادل على بن السـلار .

وقد تتلمذ فى المدرسة السلفية عدد كبير من علماء المغرب والاندلس منهم :

ـ أبو العباس أحمد بن عمار النابلى ، ذكر السلفى أنه كتب عنه شيئا من الحديث(٧٣) .

ـ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن منصور التاهرتى من أهل تاهرت حيث قال السلفى فى ترجمته : « كان من الفضـلاء فى الفقه والادب ، وله شعر وكتب عنى من الحديث كثير سنة ٥٢٧هـ بعد رجوعه من الحجاز » . وقال أنه روى هذه الاحاديث التى سمعها فى المغرب بعد عودته اليه ، قال : « ثم رجع الى المغرب وروى عنى هناك » .

ـ وأخذ عنـه من علماء الاندلس أبو الوليد يوسـف بن المفضـل القبذاقى(٧٤) .

ـ وتلميذ رابع عرف لكثرة رحلاته بالسايح ، وهو أبو محمد عبد الله أبى الطيب الينوشى ، مغربى الاصل ، لقى فى سـياحاته المتعـددة شيوخ المغرب بمصر والشـام والعـراق والحجاز ، فصـحبهم ، ثم اسـتوطن الاسكندرية وأخذ فيها عن السلفى فى أحاديثه(٧٥) .

ـ ومن تلاميذه أيضا فى الاسكندرية مؤرخ مغربى ، هو أبو الحسن

---

(٧٣) هو من نابل اقليم بين تونس وسوسة .
(٧٤) الشيال ، المرجع السابق ، ص ٦ ـ ١٤٧ .
(٧٥) معجم السلفى ، نسخة مصورة بكلية الاداب جامعة الاسكندرية ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ . الشيال ، نفس المرجع ، ص ١٤٧ .

على بن عبد الله بن محجوب الطرابلسى ، قال عنـــه : « .. وكان له اهتمام بالتواريخ وصنف الطرابلسى تواريخا وقفت عليه،وانتخبت منه ما استغربته وحدثنى به »(٧٦) .

ـ بل ان من تلامذته أيضا العالم الموحدى الشهير أبو عمر أحمد بن هارون النغزى الشاطبى الذى استشهد فى سنة ٦٠٩هـ ـ ١٢١٢م فى موقعة العقاب التى انهزم فيها الموحدون فى الاندلس هزيمتهم الكبرى المعـــروفة بلاس نافاس دى تولوسا(٧٧) .

وتوفى السلفى فى سنة ٥٧٦هـ ـ ١١٨٠م بعد أن جاوز المـــائة عام ، وبعد أن خلف مدرسة كان لها آثار هامة على معركة الفكر بالمشرق والمغرب على الســـواء .

ولم تلبث مدرسة الاسكندرية أن تحولت فى القرن السابع الهجرى (١٣م) الى مدرسة للتصوف بعد أن ذاعت شهرتها فى الحديث والفقه فى أيام أبى عوفة والسلفى .

ويهمنا أن نذكر من علماء الفكر الصوفى المغربى فى الاسكندرية قطب الاسكندرية الشهير أبو الحسن الشاذلى الذى شهدت حياته أكثر من صفحة تعلقت بأحداث المغرب والمشرق فى ذات الوقت .

ولد أبو الحسن الشاذلى فى سنة ٥٩٣هـ ـ ١١٩٧م فى اقليم غمـــارة بالقرب من مدينة سبتة . وهو تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الجبار بن

---

(٧٦) الشيال ، نفس المرجع ، ص ١٥٠ .

(٧٧) ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، ترجمة رقم ٢٦٢ . المقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٢ . د . سالم ، المغرب الكبير ، ط ١٩٦٦ ، ص ٨٢٢ ـ ٨٢٧ .

يوسف • درس فى غمارة علومه الاولى مع حفظ القرآن ، ورحل الى تونس للاستزادة من علوم الشرق • ولم يتجه الى فاس أو مراكش مراكز العلم المغربية فى ذلك الوقت لما كانت تعانيه من مشاكل سياسية ومذهبية •

وكان المغرب فى النصف الثانى من القرن ٦هـ (١٢م) قد عرف الصوفى الكبير الشيخ أبو يعزى بن يلنور • وذاقت شهرة هذا الشيخ وتتلمذ على يديه عدد من علماء المغرب والاندلس ، منهم القطب الغوث أبو مدين(٧٨) التلمسانى الذى رحل الى المشرق واستزاد على يد عبد القادر الجيلانى قطب العراق • وتتلمذ على يدى الغوث بعد عودته الى بجاية بالمغرب عدد كبير منهم المتصوف الكبير محى الدين بن عربى(٧٩) •

وقد لاحظنا اضطهاد الموحدين لهؤلاء الفقهاء وامتحانهم لهم ومنهم الفقيه ابن رشد(٨٠) الذى تعرض لمحنة كبرى فى سنة ٥٩١هـ — ١١٩٤م على يدى يعقوب المنصور الموحدى وكذلك اضطهاد الصوفى أبو مدين الغوث

---

(٧٨) أبو العباس أحمد بن أحمد الغبرينى (ت ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م) : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ، تحقيق الاستاذ ، رابح أحمد بونار ، الجزائر ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م ، ص ٥٥ — ٥٦ .

(٧٩) أبو العباس أحمد بن أحمد الغبرينى ، عنوان الدراية ص ١٥٨ — ١٦٠ . أنظر أيضا : المقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٣٦١ — ٣٨٤ ، ج ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٨٠) لقد كانت نكبة الفقيه الفيلسوف ابن رشد من سقطات يعقوب المنصور ، ولكن كان متأثرا فى ذلك بضغط الفقهاء والطلبة والموحدين ، ولكنه عوض طلبة علم الحديث أعظم عناية ، حتى نالوا على يديه من الرعاية والنفوذ مالم ينالوه أيام أبيه وجده . ولقد اضطر المنصور ذات يوم أن يصرح امام سائر الموحدين وقد بلغة موقفهم من الطلبة قائلا : « يامعشر الموحدين أنتم قبائل ، فمن نابه منكم أمر فزع الى قبيله ، وهؤلاء الطلبة لاقبيل لهم سواى ، فمهما نابهم أمر ، فأنا ملجؤهم ، والى فزعهم ، والى ينتسبون » أنظر : المراكشى ، المعجب ص ١٥٨

التلمسانى الذى استدعى من بجاية لمحاكمته وتوفى فور وصوله الى تلمسان سنة ٥٩٤هـ[٨١] .

(ب) أبو الحسن الشاذلى ومدرسته :

ومثل هذا الجو من الاضطهاد والاضطراب دفع الكثير من رجال الفكر والفلسفة والتصوف الى الرحيل عن المغرب ، وهذا ما قام به أبو الحسن الشاذلى بعد أن تتلمذ لفترة فى فاس على يد أبى عبد الله بن حرازم[٨٢] .

رحل الشاذلى فيما يقرب من سنة ٦١٥هـ — ١٢١٨م قاصدا تونس أولا ومنها الى الاسكندرية ثم الحجاز ، وفلسطين والشام والعراق مؤكدا اتصاله بعلمائها وفقهائها[٨٣] .

ثم عاد الى المغرب فلقى الشيخ عبد السلام بن مشيش وأخذ عنه . ولما أصبح أبو الحسن أهلا للولاية لصفاء نفسه ، وبالتالى لوراثة القطبانية أمره أستاذه بالرحيل الى تونس حيث قال له :« .. ارحل الى افريقية واسكن بها بلدة تسمى شاذلة ، فان الله يسميك الشاذلى ، وبعد ذلك تنتقل الى مدينة تونس ، ويؤتى عيك من قبل السلطنة وبعد ذلك تنتقل الى بلاد المشرق وترث القطبانية »[٨٤] .

وفى شاذلة عكف أبو الحسن مثل أستاذه ابن مشيش فى غار ، واتخذه رباطا يتعبد فيه[٨٥] . وبدأ يخرج عن رباطه بعض الوقت يقيم فى تونس

---

(٨١) ابو العباس أحمد بن أحمد الغبرينى ، المصدر السابق ص ٦٠

(٨٢) يقع ضريحه على بعد ١٥ كلم من فاس ، واليه تنسب المياه المعدنية المعروفة باسمه (ماء سيدى حرازم) .

(٨٣) نفح الطيب ج ١ ص ٤١٩ ومابعدها . الشيال ، المرجع السابق ص ١٦٥

(٨٤) الشيال ، المرجع السابق ص ١٦٩

(٨٥) ليفى بروفنسال ، أوراق ابن مرزوق (نخب من كتاب المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا الحسن أبى الطيب ابن مرزوق) باريس ١٩٢٥ ، ص ٢٠

يدرس وينشر طريقته بين مريديه وتلاميذه ، مما أدى الى اقبال الناس على دروسه ومواكبه الى حد أنه قيل عنه : « كان الشيخ أبو الحسن اذا ركب تمشى أكابر الفقراء وأكابر الدنيا حوله وتنشر الاعلام على رأسه وتضرب الكوسات بين يديه »(٨٦) .

وأثار هذا الاقبال الحاسدين عليه(٨٧) حتى خرج من تونس الحفصية فى عهد أبى زكريا الحفصى بعد براءته حاجا . وتطاولت أيدى الحاسدين عليه الذين بالغوا فى الكيد له الى حد أنهم أرسلوا الى الملك الكامل الايوبى سلطان مصر رسالة جاء فيها أنه : « علوى يسعى الى اعادة ملك الفاطميين وأن هذا الواصل شوش علينا بلادنا وكذلك يفعل ببلادكم »(٨٨) . فألقى القبض عليه بمجرد وصوله الى مصر ثم أفرج عنه بثبوت براءته بل اقترب من السلطة الحاكمة ، وطاب له المقام فى مصر لفترة قبل أن يعود الى تونس للقاء تلميذه أبى العباس المرسى الذى صحبه معه عائدا من جديد الى الاسكندرية فى سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٥ م . وكان بين هذه الصحبة أيضا خادمه ، أبو العزايم ماضى بن سلطان ، والحاج محمد بن القرطبى ، وأبو عبد الله البجائى ، وأبو الحسن البجائى . وسيكون لهؤلاء فيما بعد مع تلاميذه المبرزين أمثال أبى العباس المرسى وأبى القاسم محمد بن منصور القبارى قيادة الحياة الفكرية والروحية فى المدينة (٨٩) .

ولم يقتصر نشاط أبى الحسن الشاذلى على مدرسته بالاسكندرية بل كانت له مدرسة أخرى متنقلة بين مدن مصر ، فقد زار دمنهور ودميـاط

---

(٨٦) الشيال : المرجع السابق ، ص ١٧١
(٨٧) الشيال ، نفس المرجع ، ص ١٧٣ .
(٨٨) الشيال ، نفس المرجع ، ص ١٧٣
(٨٩) ابن رشيد السبتى ، الرحلة ، تحقيق نجاح صلاح الدين ، ص ٨٤

والمنصورة ، ومعظم مدن صعيد مصر ، وتردد كثيرا على القاهرة [٩٠] .

ومن ثم اتصل بالكثير من علماء مصر أمثال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وتقى الدين بن دقيق السعيد قاضى القاهرة [٩١] ، وعبد العظيم المنذرى شيخ المدرسة الكاملية ، ومحى الدين بن سراقة ، والشيخ مكين الدين الاسمر عبد الله بن منصور الاسكندرانى شيخ القراء بالاسكندرية (ت ٦٩٢ هـ) [٩٢] ، وأبى عمرو عثمان بن الحاجب عالم النحو والعربية ، وابن الصلاح مفتى الشام [٩٣] .

وكان أبو الحسن دائم الحج عن طريق صعيد مصر ، وقد بات فى حميثرا سنة ٦٥٦ هـ بالقرب من عيذاب على البحر الاحمر — وكان قد أوصى بأبى العباس المرسى قبل وفاته بأنه « باب من أبواب الله » . ولم تصدر عنه أى مصنفات بل كان يردد أن كتبه هى تلاميذه حيث قال : « كتبى أصحابى » [٩٤] .

---

(٩٠) رغم مانلاحظه من كثرة ترحال أبو الحسن الشاذلى الاانه لم يطلب له المقام الافى الاسكندرية حيث « .. أن آراءه الصوفية لم تجد لها أمانا الافى الديار المشرقية فاتخذها مقرا له وهناك زادت طريقته وشهرته » أنظر ، ابن رشيد ، الرحلة ، ص ٨٥ .

(٩١) رغم مانلاحظه من كثرة ترحال أبو الحسن الشاذلى الاانه لم يطب له المقام الافى الاسكندرية حيث « .. أن آراءه الصوفية لم تجد لها أمانا الافى الديار المشرقية فاتخذها مقرا له وهناك زادت طريقته وشهرته » . أنظر ، ابن رشيد ، الرحلة ، ص ٨٥ .

(٩٢) وعنه يقول العبدرى فى رحلته : « .. عالم الديار المصرية تقى الدين أبو الفتح محمد بن على بن وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القشيرى ويعرف بابن دقيق العبد صاحب المدرسة الكاملية ، لقيت منه حبرا يحق له اللقاء وبحرا من علم لا تكدره الدلاء .. ما يلقى له فى سعة المعارف نصير او يوجد من يماثله فى صحة البحث والتنقير ، وله فى البلاد ذكر شهير .. فهو الان قطب مصر وعلمها » . الرحلة ، ص ١٣٨ — ١٣٩ . وهو أحد شيوخ الرحالة ابن رشيد السبتى (أنظر الرحلة ، ص ١٦٣) أنظر أيضا : السبتى ، مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص ٢٠٨

(٩٣) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

(٩٤) عن ابن مكين أنظر ، ابن رشيد السبتى ، الرحلة ، ص ١٤ من النص المنشور .

جـ — أبو العباس المرسى ومدرسته :

لا تكاد تذكر الاسكندرية الا بذكر قطبها أبو العباس المرسى وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن على الخزرجى الانصارى المرسى البلنسى الذى ينتهى نسبه الى الصحابى الجليل سعد بن عبادة ولد فى عام ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م فى مرسية واليها ينتسب ، واستفاد من احتراف التجارة تجارب عديدة . وفى سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م خرج مع أسرته لاداء فريضة الحج وكانت رحلة شاقة لاقى فيها الاهوال وأنتهت بغرق والديه ونجاته وأخيه ، واتخذ الاخوان طريقهما الى تونس ، حيث احترف أخوه التجارة بينما انصرف هو لتحصيل العلم واتخذ لنفسه مكتبا فى زاوية الفقيه محرز بن خلف يعلم الصبيان القراءة والكتابة والحساب ويحفظهم القرآن (٩٥) .

سمع أبو العباس أثناء مقامه بتونس بالشيخ أبى الحسن الشاذلى فسعى الى مقابلته وصحبه الى مصر . وأستخلفه أستاذه أبو الحسن الشاذلى على شئون الدعوة ، وأعلن هذا الاستخلاف فى حفل جمع فيه أتباعه بمسجد العطارين بالاسكندرية انفرد بعده أبو العباس بدروس المدرسة فى الاسكندرية والقاهرة وجلس رسميا مكان أستاذه سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م (٩٦) .

وحظى أبو العباس بمكانة علمية عظمى اجتذبت اليه الطلاب والفقهاء

---

(٩٥) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٣٨٩—٣٩٠ . الشيال : أعلام الاسكندرية ، ص ١٩٢—١٩٣ .

(٩٦) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٣٩٠—٣٩٣ . الشيال : نفس المرجع ، ص ١٩٩—٢٠١ .

من المشرق والمغرب على السواء • وكان كأستاذه عالما لا مصنفات لـــه بل خلف عددا من التلاميذ كان كل منهم قطبا من بعده فى الصوفية وعلمـــا من أعلام الفكر السكندرى ، منهم :

تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعـــروف بابن عطاء الله السكندرى (٦٥٨ ــ ٧٠٩ هـ / حوالى ١٢٦٠ ــ ١٣١٠ م) [٩٧] وأبو عبد الله محمد بن سليمان المعافرى الشاطبى (٥٨٥ ــ ٦٧٢ هـ / ١١٨٩ ١٢٧٤م)[٩٨] • وأبو القاسم محمد بن منصـــور بن يحيى اللكى المشهور بالقبارى الاسكندرانى المتوفى سنة ٦٦٢هـ ــ ١٢٦٤م[٩٨أ] •

توفى أبو العباس المرسى بالاسكندرية فى سنة ٦٨٥هـ ــ ١٢٨٧م بعد سنوات طالت الى ثلاث وأربعين ســـنة نذر نفسه خـــلالها لنشر العـــلم والمعرفة[٩٨ب] • وعاصر خلالها شيخ طنطا المغربى السيد أحمد البـــدوى الذى توفى سنة ٦٧٥هـ ــ ١٢٧٦م[٩٨جـ] •

---

(٩٧) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٣٤١ . التقى الفاسى ، منتخب المختار أو تاريخ علماء بغداد ، نشر عباس الغزاوى ، بغداد ١٩٣٨ ، ص ٢٠٢ د . سالم تاريخ الاسكندرية ، ص ٥٣٦ .

(٩٨) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣١٥ .

(٩٨أ) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

(٩٨ب) دفن فى باب مقربة باب البحر ، وأصـــبح مقبره مزارا ، واوقفت عليه أوقافا عدة . وفى سنة ٧٠٦هـ ــ ١٢٠٧م زاره كبير تجار الاسكندرية زين الدين بن القطان الذى بنى على القبر الضريح ذو القبة والمسجد والمأذنة المربعة الشكل ــ وهى تماثل مآذن مساجد المغرب عموما مما يؤكد مغربية هذا التاجر ــ وقد خضع المسجد لعدة تجديدات ، ففى سنة ٨٨٢هـ أعاد الامـــير قجمـــاس الاسحاقى الظاهر والى الاسكندرية بناءه ، وفى سنة ١٠٠٥هـ ــ ١٥٩٦م جدده الشيخ أبو العباس السنفى الخزرجى ودفن به ، وفى سنة ١١٨٩هـ ــ ١٧٧٥م زار الاسكندرية الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله المغربى فجدده ووســـع بعض أجزائه . أنظر : د. سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٤٧٢ ٤٧٦ .

(٩٨جـ) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج١ ، ص ٢٤٠ ، العماد الاصفهانى، فريدة القصر ، ج٢ ، ص ٣٤٠ .

(د) أشهر علماء المغرب والاندلس فى المشرق :

وبالاضافة الى الشاذلى والمرسى وتلاميذهما لدينا قائمة كبيرة ممن رحل من علماء المغاربة الى المشرق ومنهم :

ـ أبو الحجاج يوسف بن محمد بن فاروا ، الانصارى الاندلسى من ثغر شرق الاندلس من بلاد المغرب ، أصله من مجريط « مولده بأشكرب . وتربيته ونشؤه بجيان دخل بغداد . ورحل الى خراسان فى طلب الحديث ، وتوفى ببلخ ، سلخ من ذى القعدة سنة ٥٤٨هـ ـ ١١٥٣م »[٩٩] .

ـ الفقيه خطاب التلمسانى ، وهو أبو الحسن خطاب بن أحمد بن عدى بن خطاب بن خليفة بن عبد الله بن الوليد بن أبى الوليد . وقد قال عنه الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد بن مقلد التنوخى الدمشقى ببغداد: « أن خطابا كان اماما فاضلا ، وورد بغداد ، وله شعر حسن ويد باسطة فى اللغة »[١٠٠] .

ـ أبو محمد عبد الله ابن سارة الاشبيلى ، الذى توفى بعد سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م كان له ذكر كبير فى العراق[١٠١]

ـ أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الحكيم الاديب المعروف بالمغربى ، وهو من أهل المرية انتقل الى المشرق وقد ذكره العماد بقوله : « أنه كان طبيب المارستان المستصحب فى معسكر السلطان السلجوقى ،

---

(٩٩) العماد ، نفسه ، ص ٣٤١ .
(١٠٠) العماد ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٤١ .
(١٠١) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩ـ٢٠ ، ص ٤٥٦ .

ثم انتقل الى الشام وتوفى ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م وقبل فى السنة قبلها بدمشق » (١٠٢)

ـ أبو الفضل جعفر ابن شرف ، وهو ولد أبى عبد الله محمد مصنف أبكار الافكار توفى حدود سنة ٥٣٠ هـ ؛ وكان معاصرا لابن رشيق وقد ذكره الفقيه الشيخ اليسع بن عيسى الغافقى الاندلسى بمصر أن أبا الفضل جعفر بن محمد بن شرف شيخه (١٠٣)

ـ ابن خفاجة الاندلسى ، وهو أبو اسحاق ابراهيم بن أبى الفتح ابن خفاجة الاندلسى الجزيرى ؛ يكنى أبا اسحاق ؛ رحل حاجا وسمع بالاسكندرية عن أبى طاهر السلفى . قدم بغداد بعد الستين وخمسمائة ويعتقد أنه مات بها سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٧ م (١٠٤) .

ـ أبو الصلت أمية بن أبى الصلت الاشبيلى ، أديب وشاعر من أهل أشبيلية رحل الى المشرق فأقام بمصر عشرين عاما ، ثم انتقل الى المهدية وتوفى سنة ٥٤٦ هـ / ١١٥٧ م (١٠٥)

---

(١٠٢) العماد ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ . ويذكر عنه المقرى فى نفح الطيب : « من أهل المرية ، انتقل الى المشرق ، كان كامل الفضيلة جمع بين الادب والحكمة ـ كان طبيب المرستان المستصحب فى معسكر السلطان السلجوقى حل أو خيم ثم ان أبا الحكم انتقل الى الشام وشهر بدمشق » ج ٢ ، ص ٢٣٣ـ٢٣٥ .

(١٠٣) العماد ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧١ـ١٨٢ .

(١٠٤) السيوطى ، البغية ، ص ٤٠٦ . العماد ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١٤٧ـ١٤٨ ، المقرى ، نفسه ، ج ٢ ص ١٩٥ .

(١٠٥) ويقول ابن سعيد عنه : « يقال ان عمره كان ستين سنة : عشرون فى اشبيلية ، وعشرون فى المهدية وعشرون فى مصر محبوسا فى خزانة الكتب » وعن حسيه يقول : « وكان قد خرج من اشبيلية ، فصحب بالمهدية ملوكها الصنهاجيين ، وتوجه فى رسالة الى مصر ، فسجن فى القاهرة فى خزانة البنود ، وكان فيها خزائن من أصناف الكتب ، فأقام بها نحو عشرين سنة ، فخرج منها

ـ أبو محمد عبد الله بن سلامة ، أصله من بجاية ، ورحل الى مصر وأقام فترة من الزمن فى الاسكندرية ثم فى مصر ، والصعيد والريف وهو القائل فيها :

لى حرمة الضيف لو كنتم ذوى كرم
وحرمة الجار لو كنتم ذوى حسب
لكنكم يابنى اللخناء ليس كلكم
فضل ولا أنتم من طينة العرب (١٠٦)

ـ على بن يقظان السبتى ، أصله من مدينة سبتة وقد ذكره بعض أهل الادب بمصر، قال : « ورد الى البلاد المصرية سنة أربع وأربعين وخمسمائة ومضى منها الى اليمن ، ورحل فى غذن من عدن ، وسافر الى المشرق فى طلب الرزق ، وزار العراق ودار الآفاق يمدح أهلها » (١٠٧) .

ـ ابن شقرون السبتى ، الذى ذكر عنه فى سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م انه كان يعيش بمصر ، وله مدح فى عبد المؤمن بن على خليفة الموحدين (١٠٨)

ـ يوسف القسطلى ، من الجزيرة الخضراء ، كان فى أواخر المائة السادسة للهجرة بالمشرق ، وقد مدح عبد المؤمن أيضا (١٠٩) .

ـ أبو هارون موسى بن عبد الله ابن ابراهيم القحطانى المغربى

وقد برع فى علوم كثيرة من حديثه وقديمه » . المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، رقم ١٨٦ ص ٢٦١—٢٦٢ . وانظر أيضا : المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٥٣٠ ، ج ٢ ، ص ٣٠٧—٣١١ . وأنظر أيضا : ياقوت الحموى ، معجم الادباء القاهرة ، ١٩١١ م ، ج ٢ ، ص ٣٦١ .

(١٠٦) العماد ، نفسه ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .
(١٠٧) العماد ، نفسه .
(١٠٨) العماد ، نفسه ، ج ١ ، ص ٣٤٥ .
(١٠٩) العماد ، نفسه ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

الاغماتى رحل الى مصر والحجاز والعراق وخراسان [١١٠] .

ـ الفقيه اليسع بن عيسى بن اليسع أبو يحيى مصنف (كتاب المغرب فى محاسن المغرب) « صنفه بمصر وطرزه بالدولة الصلاحية الناصرية » ، وكان يكتب بالاندلس عن المستنصر بن هود ، ثم رحل الى مصر وأستوطن الاسكندرية ، ثم غادرها الى القاهـرة حيث قربه السلطان صـلاح الدين الايوبى اليه ورفع مكانته وتوفى سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م [١١١] .

ـ أبو عبد الله ، أبو حامد محمد بن عبد الرحيم ، المـازنى القيسى الغرناطى ، ولد عام ٤٧٣ هـ / ١٠٧٧ م ، ونزل بالاسكندرية سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م ، فيها سمع عن أبى عبد الله الرازى ، وبمصر عن أبى صادق مرشد بن يحيى المدينى وأبى الحسن الفـراء الموصلى ، وأبى عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوى وغيرهم ، وحدث بدمشق وسمع أيضا بها وببغداد التى قدمها سنة ٥٥٦ هـ / ١٢٦١ م ودخل خراسان وأقام بها مدة ، ثم رجع الى الشام وأقام بحلب سنين وسكن دمشق [١١٢] .

ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الخزرجى السعدى القرطبى عاش فى القرن السادس الهجرى ، رحل من الاندلس وقدم مصر وأقام بالقاهرة حيث حدث وسمع من شيوخها ، وأستوطن مصر والقاهرة وتوفى سنـة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م [١١٣] .

---

(١١٠) العماد ، نفسه ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .
(١١١) ابن الابار ، التكملة ، ص ٧٤٤ . ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د . شوقى ضيف ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ج ٢ ،ص ٨٨
(١١٢) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٥
(١١٣) المقرى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٧

— أبو بكر بن السراج ، النحوى : هو محمد بن عبد الملك بن محمد بن السراج ، الشنتميرى ، أحد أئمة العربية ، قدم مصر سنة ٥١٥ هـ وأقام بها وأقرأ الناس العربية ثم انتقل الى اليمن • وكانت له حلقة فى جامع مصر لاقراء النحو ، وكثيرا ما كان يحضر عند السلفى مدة مقامه بالفسطاط وتوفى بمصر سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م [١١٤] •

— والفقيه الحافظ أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد بن خسيرة القرطبى المالكى ، ولد سنة ٤٧٩ هـ ، أخذ الفقه عن بعض الائمة فى قرطبة أمثال القاضى أبى الوليد بن رشد ، والحديث عن أبى عتاب وروى الموطأ عن أبى بحر سفيان بن العاصى بن سفيان ، وأخذ الادب عن أبى الحسن سراج بن عبد الملك بن سراج ، وعن مالك ابن عبد الله العتبى • وخرج من قرطبة عند قيام الفتنة الثانية فرحل الى مصر وأقام بالاسكندرية خوفا من بنى عبد المؤمن بن على ، وكان يعبر عن خوفه بقوله : « كأنى والله بمراكبهم قد وصلت الى الاسكندرية » ثم رحل الى القاهرة وأقام بها مدة وكان يقول : « والله ما يصلون الى مصر ويتأخرون عن هذه البلاد » وظل على ذلك الحال من التنقل والترحال خوفا من بنى عبد المؤمن الموحدين حتى توفى بالهند كما يذكر فى سنة ٥٥١ هـ / ١٢٥٦ م [١١٥] •

— أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى الفضل السلمى ، المرسى ولد بمرسية سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م ونشأ بها ثم أنتقل الى المغرب لفترة من الزمن ثم رحل من المغرب الى مصر فى سنة ٦٠٧ هـ ومنها الى الحجاز ، ثم رحل مع قافلة الحج الى بغداد حيث أقام يسمع ويقرأ

---

(١١٤) المقرى ، نفسه .

(١١٥) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٩

بالنظامية ، ثم قدم مصر للمرة الثانية ، وخرج منها الى الشام حيث مات بها فى سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٨ م [١١٦] .

ـ محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن العربى المعافرى من أهل أشبيلية من بيت القاضى أبى بكر بن العربى[١١٧] ، درس بأشبيلية وقرطبة ، ثم رحل فى المرة الاولى الى مصر فأخذ عن أبى طاهر السلفى بالاسكندرية . ورحل مرة ثانية الى المشرق وتنقل بين دمشق وبغداد وأخذ عن كبار علماء هاتين الحاضرتين وجاور بمكة وسمع بها . وعاد من رحلته الثانية الى اشبيلية فى عام ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م ، فأخذ عنه الطلاب بها وبقرطبة ، ثم رحل الى المشرق فى رحلته الثالثة فى سنة ٦١٢هـ / ١٢١٥م وجاور بالحرمين عدة أعوام وحج مرارا ، وسلك طريق التصوف وغلب عليه الزهد ، وتوفى فى طريق العودة بثغر الاسكندرية سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م [١١٨] .

ـ على بن ظافر ـ لم يتحقق من أصله رغم ما كان له من علاقات معم صر الايوبية فى ظل الملك العادل بالاسكندرية ، وقد حكى عن نفسه فى بدائع البدائة فقال : « ومن أعجب ما دهيت به ورميت ... أننى كنت فى خدمة مولانا السلطان الملك الكامل بالاسكندرية سنة احدى وستمائة مع

---

(١١٦) المقرى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠

(١١٧) ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، ص ٦٣٥ ، ص ٢٨٨ ، ورقم ١٢٩٧ ص ٥٩٠ـ٥٩١ ، حيث يقول : « ختام علماء الاندلس وآخر أئمتها وحفاظها توفى بمدينة فاس سنة ٥٤٣ هـ » انظر ايضا المقرى ، ج ١ ، ص ٤٧٧ . ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

(١١٨) ابن الابار ، التكملة ، رقم ١٥٩٣ . المقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ص ٢٣٣ـ٢٥٠ .

من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب والحواشى والخدام ،ودخلت سنة اثنتين وستمائة ونحن بالثغر مقيمين فى الخدمة مرتضعون لافاديق النعمة ، فحضرت فى جملة من حضر الهناء من الفقهاء بالثغر والعلماء»(١١٩)

ــ قاضى المالكية وجيه الدين أبو زكريا ، يحيى بن عبد الله الصنهاجى اليزيدى ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م ، الذى وصف بأنه : « ... حسن الاخلاق ، حسن الهيئة ، جميل اللباس ، سمح اللقاء مليح التأنيس .. يقظ ، حاضر الذهن ، كان خاطره جمرة متقدة » . (١٢٠)

ــ الشيخ نور الدين على بن يونس بن عبد الله الهوارى التونسى ، الذى يقال عنه : « .. طلع على الابصار ملاكا لان الغرب مطلعه » (١٢١) .

هذه أمثلة قليلة لعلماء مغاربة كثيرين نزحوا الى المشرق الاسلامى وتنقلوا بين مراكزه العلمية المختلفة وأستقر بعضهم فى بعض هذه المراكز وقد ذكر المقرى فى النفح أن بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل الايوبى رقعة فى ورقة بيضاء ان قرئت فى ضوء السراج ظهرت فضية ، وان قرئت فى الشمس كانت ذهبية ، وان قرئت فى الظل كانت حبرا أسود . ومن الابيات التى جاءت فيها والتى تتوج أهداف المغاربة من أقامتهم بالمشرق :

لئن صدنى البحر عن وطنى
وعينى بأشواقها زاهرة
فقد زخرف الله لى مكة

---

(١١٩) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ .
(١٢٠) سعد زغلول عبد الحميد ، الاثر المغربى ص ٢٥٩
(١٢١) سعد زغلول عبد الحميد ، الاثر المغربى ، ص ٢٦٠ .

بأنـــــوار كعبتـــــه الزاهـــــرة
وزخـــــــرف لى بالنبى يثربـــــا
وبالملك الكامـــــل القاهـــــــرة

فرد عليه الملك الكامل قائلا بل قل :

وطيـــــب لـــى بالنبى طيبـــــــة
وبالملك الكامـــل القاهـــــرة (١٢٢)

هـ ــ علماء مشارقة فى المغرب :

وكما كان المشرق الاسلامى هدفا للرحلات المغربية الاندلسية كان المغرب والاندلس بدورهما هدفا لرحلات عدد كبير من العلماء المشارقـة الذين رأوا فى الرباط بثغور الاندلس ضربا من أعمال البر والتقـرب الى الله . مـن هؤلاء :

ــ أحمد بن على بن هاشم القرشى المصرى (٣٧٠ ــ ٤٤٥ هـ / ٩٨٠ ــ ١٠٥٤ م) الذى رحل الى الاندلس مجاهدا (١٢٣) .

ــ أحمد بن محمد الاموى المعروف بابن ميمون (٣٥٣ ــ ٤٠٠ هـ / ٩٦٤ ــ ١٠١٠ م) الذى لزم رباط طليطلة بعد عودته من المشرق سنـــة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م (١٢٤) .

ــ عبد الله بن سعيد بن أبى عوف العاملى الذى استوطن طليطلـة ويرابط فى حصن ولمش (١٢٥) .

---

(١٢٢) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ٦٠
(١٢٣) ابن بشكوال ، الصلة ، ترجمة رقم ١٨٦ ، ص ٨٦
(١٢٤) ابن بشكوال ، نفسه ، ترجمة رقم ٣٧ ، ص ٢٠
(١٢٥) ابن بشكوال ، نفسه ، ترجمة رقم ٥٧٣ ، ص ٢٥٨ .

— ميمون بن بدر القروى الذى أتى من قيروان افريقية ليرابـــط فى طليطلة (١٢٦) .

واذا كان هؤلاء قد جاهدوا بأنفسهم وتحملوا مشاق السفر والاقامة فى الرباط ، فقد نجد على الجانب الآخر أن البعض منهم جاهد بمالـــه أو بما يملك مثل خلف بن أحمد بن خلف الانصارى يعرف بالرجوى ، من أهل طليطلة الذى أوقف بعض أملاكه ليبتاع من الغلة خيلا يجاهد عليها فى سبيل الله (١٢٧) .

وهناك أيضا من شارك من المشارقة فى رد الحمـــلات الصليبية التى اجتاحت غرب البحر المتوسط أمثال : موسى بن عبد الله بن الحسن الكوفى، وهو عراقى رحل من بلده الى صقلية ومنها دخل الاندلس مجاهدا ، وتوفى فى سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م (١٢٨) .

(٣)

علمـــاء مغاربـــة عـــادوا الى المغـــرب

وهناك فريق من العلماء الرحالة المغاربة والاندلسيين ارتحلوا الى المشرق الاسلامى وآثروا العودة الى بلادهم لضيق ذات اليد نذكر منهم :

— أبو عبد الله محمد بن عبد الله زكريا القلعى الاصم ، من قلعة بنى حماد « كان جيد الشعر ، لكنه كان منحوس الجد ، ورد الى الاسكندريـــة

---

(١٢٦) ابن بشكوال ، نفسه ، ترجمة رقم ١٣٩٢ ، ص ٦٣٤

(١٢٧) ابن بشكوال ، نفسه ، ترجمة رقم ٣٧٨ ، ص ١٦٨ . انظر ايضا د . سعد زغلول ، الاثر المغربى ، ص ٢٤٤ .

(١٢٨) ابن بشكوال ، نفسه ، ترجمة رقم ١٢٢٦ ، انظر ايضا ، د .سعد زغلول ، نفس المرجع والصفحة .

ومصر وأقام بها زمانا ، لا يجد من يروى ظمأته ، ولا يسد خلته . وعاد الى المغرب فى غير أوان سفر المركب ، فسار راجلا ، نعليه مطيته وزاده كدبته ، الى أن وصل الى قوم يعرفون ببنى الاشقر من طرابلس الغرب فامتدحهم » (١٢٩) .

وفريق آخر من المغاربة أطلق عليهم اسم الوافدين أو الطارئين على مصر منهم :

ـ محمود عبد الجبار الاندلسى الطرطوسى ؛ وأبو الحسن عبد الودود وكان قاضى قضاتهم فى أيام الافضل (١٣١) ، وعلى بن اسماعيل القلعى بن عبد القدوس القرطبى(١٣٠) ، والقاضى الرشيد أحمد بن قاسم الصقلى المعروف بالطميش (١٣٢) .

ونذكر من أمثلة من عادوا لنشر العلم فى وطنهم الفقيه القاضى أبو الوليد الباجى الذى : « .. كان فقيه الاندلس وأمامها ، رحل الى المشرق ، فأشرقت أنوار اقباسه .. وعاد الى الاندلس فاستقر من العزة فى الاعين والانفس .. » (١٣٣) . والرحالة المغربى ابن رشيد السبتى الفهرى الذى عايش الاضطرابات التى اجتاحت بلاد المغرب وأدت الى هجرة أعداد كبيرة من علماء المغرب الى المشرق حيث الاستقرار النسبى . وكان ابن رشيد

---

(١٢٩) العماد الاصفهانى ، فريدة القصر ، ج ١ ، ص ٣٣٧

(١٣٠) العماد الاصفهانى ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٣١ .

(١٣١) العماد الاصفهانى ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٣٦ .

(١٣٢) العماد الاصفهانى ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٤١ .

(١٣٣) المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٥٠٩ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

واحدا من المهاجرين فى أخريات أيام ادولة الموحدية وبداية الدولـــــة المرينية (١٣٤) .

أوضح ابن رشيد خلال رحلته المشرقية الطويلة واتصاله بالعديد من شيوخ العلم فى مراكزه مدى أهمية مصر كمركز لتلاقى العلماء المشارقـــة والمغاربة . كما حدث له فى لقاء التعارف فى مدينة بلبيس على قاضى المدينة وهو : أبو الحسن على بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقى من علمـــاء دمشق المستوطنين مصر ، وقد امتدحه ابن رشيد بالشيخ الفاضل (١٣٥) .

وكان ابن رشيد يستهدف من برنامجه هذا ابراز الشيوخ المشارقـــة والمصريين خاصة والاسكندريين على وجه الخصوص فى صورة طيبةكريمة النفس حتى تحدث هزة عنيفة فكرية وروحية وثقافية فى نفـــــوس بنى جلدته (١٣٦) . ويعدد ابن رشيد شيوخه الذين قرأ عليهم سواءفى تونس (١٣٧) أو فى الاسكندرية (١٣٨) أو القاهرة . (١٣٩)

وممن اجتذبتهم حياة التجارة أو الاشتغال بالعلوم بعد رحلة علمية طويلة الامد الى المشرق عادوا بعدها الى الاندلس :

---

(١٣٤) هو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن ادريس بن سعيد بن مسعود ابن حسن بن محمد بن عمر بن رشيد أبو عبد الله الفهرى السبتى ، المكنا أبا عبد الله ، ويعرف بابن رشيد ، مولده فى جمادى الاولى سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨ م. أنظر ، الرحلة تحقيق ، نجاح صلاح الدين القابسى ، المقدمـــة ، ص د ، ص ١٩٣ .

(١٣٥) رحلة ابن رشيد ، تحقيق نجاح القابسى ، ص ١٧٣ .

(١٣٦) رحلة ابن رشيد ، ص ٢٥٦ .

(١٣٧) رحلة ابن رشيد ، ص ١٣٤—١٣٨ .

(١٣٨) رحلة ابن رشيد ، ص ٩—٣٢ من النص المنشور .

(١٣٩) رحلة ابن رشيد ، ص ٦٧—١٦٣ من النص المنشور .

— أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجر الانصارى البلنسى وكان قد « أخذ القراءات من جماعة أهل بلده وخرج حاجا سنة ٥٧١ هـ ، فجاور مكة وسمع بها والاسكندرية من السلفى وعاد الى بلده سنة ٥٩٦ هـ وحدث بها • وكان يحترف التجارة وتوفى بمرسية عام ٥٩٨ هـ » (١٤٠) •

— أبو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسى (متمم كتاب المغرب فى المغرب) « من أهل قلعة يحصب ، فهو غرناطى ، قلعى ، سكن تونس •• وسطى عقد بيته ، وعلم أهله ، ودرة قومه ، الاديب الرحالة الاخبارى ، العجيب الشأن فى التجول فى الاقطار •• تقيد الفوائد المشرقية والمغربية » خرج حاجا فى سنة ٦٣٩ هـ فألقى قصيدته المطولة فى وصف الاسكندرية ، وأتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب ووصف مصر ، وجزيرة الروضة (هى الجزيرة الصالحية نسبة الى السلطان الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل) ، وعاد الى تونس وأستقر بها مدة السلطان أبى زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ، وتوفى بتونس فى حدود سنة ٦٨٠ هـ (١٤١) •

— أبو مروان عبد الملك بن أبى بكر محمد بن مروان بن زهر (١٤٢) الايادى الاندلسى ، رحل الى بغداد وطاب له المقام بها زمانا ، تولى رئاسة الطب ببغداد ثم مصر والقيروان ، عاد وأستوطن مدينة دانية بشرق الاندلس حتى وفاته بها •

---

(١٤٠) المقرى ، النفح ، ج ٣ ، ص ٩ .

(١٤١) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٩—٣٧ . انظر أيضا : ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ٤ ، ص ١٥٢—١٥٨ . حيث يوجد اختلاف بينه وبين المقرى فى بعض السنوات ، راجع أيضا : د . سالم ، التأريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٩٦—١٩٩

(١٤٢) عن هذا البيت تفصيليا ارجع الى : المقرى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٣ ، ١٦—١٩ .

ـ العابد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدنوته الخزاعى ، من أهل قسنطانة من عمل دانية • درس القراءات والحديث فى بلده ثم رحل الى المشرق حاجا ونزل الاسكندرية فسمع السلفى ، ثم عاد الى بلده ولزم العزلة والزهد ، وسلك طريقة التصوف ، فكان من كبار صوفية الاندلس فى ذلك الوقت حتى وفاته سنة ٦٢٤ هـ (١٤٣) •

ـ عبد الباسط بن خليل بن شاهين المالقى ، المشهور بالحنفى المؤرخ صاحب كتاب « التواريخ الملوكية فى الحوادث الزمانية » ويحمل القسم الثانى من الكتاب عنوان « الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم » • سجل فيه تاريخ مصر منذ مولده فى سنة ٨٤٧ هـ الى سنة ٨٧٤ هـ وأتبع فيه المنهج الحولى وأهتم بحوادث عصره وتراجم أعيانه ووفياته معتمدا فيه على تاريخ ابن حجر والعينى ، ويقع الكتاب فى مجلدين كبيرين • ويمتاز باحتوائه على رواية فريدة للمؤلف عن رحلة قام بها الى المغرب والاندلس ووصف لاحوال مملكة غرناطة فى أواخر أيامها • وقد كشف الاستاذ (داللافيدا) هذه الرواية الهامة مبعثرة فى ثنايا المخطوط أثناء بحثه فى محتوياته • كما كتب الاستاذ عبد الله عنان عن نفس المخطوط مقالا بعنوان (ذخائر التراث العربى فى مكتبة الفاتيكان) (١٤٤) •

وهناك جماعة من المغاربة كان الدافع على رحلتهم الى المشرق تعرضهم للاضطهاد على أيدى الموحدين ومن ثم كانت رحلتهم من قبيل الهجرات

---

(١٤٣) ابن الابار ، التكملة ، ترجمة رقم ١٦٧١ .

(١٤٤) عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة ، دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، ج ٢ ، ص ٣٤١ـ٣٤٢ (الرباط ١٩٦٥) ، عبد الله عنان ، مجلة الكتاب ، العدد ٩ ، السنة ٥ ، ١٩٥٠ ، وله عن رحلة عبد الباسط مقال نشره لصحيفة المعهد المصرى بمدريد .

الاجبارية ، كما حدث لابناء أسرة بنى عشرة ، ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم السلاوى وهى من الاسرات التى أشتبه فى أن تكون من المشرق وتزحت الى المغرب فى تاريخ مبكر ، ومن ثم كان لها دور بارز فى أحداث الدولة الموحدية ذاتها (١٤٥) .

واذا كان لنا أن نختم هذا الفصل ، فلا أقل من أن نقف قليلا عند المنبع الثقافى الذى أغترف منه مغاربة الشرق فى العصر الذهبى للموحدين وأعنى به عصر يعقوب المنصور الذى تعددت فيه مدارس المغرب الاصيلة فى علوم الفقه والتصوف فضلا عن النحو المشرقى الاصل . ففى بلاط المنصور ومجلسه ظهر على يد محمد بن يوسف اليابرى الضرير ، الذى

---

(١٤٥) وعن تاريخ هذه الاسرة أنظر : د. محمد بن شريفة ، من تاريخ الاسر المصرية ، أسرة بنى عشرة ، تطورها التاريخى ، دورها الحضارى،مجلة تطوان ، العدد ١٠ ، سنة ١٩٦٥ ، حيث يقول : « .. يذكر البعض عن أسرة العشرة أنها وردت من العراق ، ولكن يذكر أيضا أنها من عائلة المدبر ، أو الى فزارى نسبة الى فنزارة مابين فاس والرباط (خميس فنزارة) . ويعرفون ببنى القاسم نسبة الى جدهم الاقرب القاسم بن محمد بن موسى بن عيسى بن عشرة ، وقد أشتهروا أكثر ببنى عشرة وهو اسم الجد الاعلى للاسرة ، وكان عشرة من أمراء المغرب فى القرن ٤ هـ (١٠ م) . وقد ارتبطت سلانفسها فى تأسيسها الى بنى عشرة ، فكانت تعرف فى بعض الاوقات بمدينة بنى العشرة ، حيث قال لسان الدين ابن الخطيب : « وسلا المسكينة لا ترجو لعثرتها الابن عشرتها » .

وفى العهد المرابطى تولوا خطة القضاء وأدرك أصحابها من النفوذالواسع والجاه العريض فى العصر المرابطى مالم يدركه القضاة فى عصر سابق أو لاحق ويعرف عن المهدى ابن تومرت أنه أقام أياما عديدة عند بنى عشرة فى سلا حيث كان طلبتها يختلفون اليه ليأخذوا منه العلم . ولكن زعامة سلا التى كانت لهذه الاسرة تنتهى بانتهاء دولة المرابطين ، ومن ثم أصاب بنى عشرة ما أصاب غيرهم ممن خدم الدولة المرابطية كالقاضى عياض والقاضى ابى بكر بن العربى وان انصراف الدولة الموحدية عن بنى عشرة أدى الى انصراف بعضهم الى حياة الزهد والعزوف عن الدنيا ، ومعاشرة أهل التصوف ، وكانت لهم اليد الطولى فى حركة التصوف فى سلا ، ص ١٧٧—٢٠٦ .

كان معلما لابناء الخليفة المنصور فى القراءة والتجويد ، وتوفى سنة ٦١٧هـ[١٤٦] . كما ظهر نجبة بن يحيى بن خلف الاشبيلى (ت ٥٩١هـ — ١١٩٣ م) الذى استدعاه الخليفة الى مراكش فأستوطنها وتوفى صحبة المنصور أثناء حملته فى معركة الارك [١٤٧] .

وحفل العلم الحديث بعدد من علماء الاندلس استمدوا علمهم من أصول مشرقية ومنهم : عبد الكريم بن محمد بن بقى المرسى [١٤٨] ، ويحيى بن أحمد السكونى اللبلى (ت سنة ٦٢٦هـ) ، وعبد الحق بن عبد الرحمان الازدى نزيل بجاية [١٤٩] الذى أهتم بتفسير ابن برجان ، وعبد السلام بن عبد الرحمان الافريقى ثم الاشبيلى الصوفى[١٥٠] . وعلى بن محمد بن عبد الملك بن القطان (ت ٦٢٨ هـ) الذى كانت له الرئاسة على طلبة علم الحديث بمراكش [١٥١] . وعلى بن أحمد بن على عبد الله الربعى المقدسى الشافعى التاجر ويكنى أبا الحسن [١٥٢] . ومحمد بن حبيشى من أهل المرية (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) ، وسليمان بن حوط الله (ت ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م) أستاذ أبناء المنصور الموحدى ، وتولى قضاء سبتة ثم مدينة سلا [١٥٣] ، وكذلك سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى (ت ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م) [١٥٤] .

---

(١٤٦) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٣ ص ٤٠٦ . أنظر أيضا : الرشيدملين عصر المنصور الموحدى ، الرباط ١٩٦٤ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦

(١٤٧) المقرى ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٠٧

(١٤٨) المقرى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٧٢—٢٧٤

(١٤٩) الغبرينى ، عنوان الدراية ، ص ١٢١—١٢٢

(١٥٠) ملين ، عصر المنصور الموحدى ، ص ٢٤٨

(١٥١) الغبرينى ، عنوان الدراية ، ص ٢٤٢

(١٥٢) ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، رقم ٩٢٧ ، ص ٤٣٣

(١٥٣) الرشيد ملين ، عصر المنصور الموحدى ، ص ٢٥٠—٢٥١

(١٥٤) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ . ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٣١٠—٣١١

وفى علم النحو ظهر : ابن الشلوبين ، عمر بن محمد بن عمر الـذى كان يقرىء العربية حتى بعد عام ٥٨٠ هـ وظل كذلك لمدة ستين سنة [١٥٥] وابن خروف على بن محمد ، الذى كان يعد من أئمة النحو [١٥٦] وأبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولى (ت ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م) ، البربرى الـذى شد الرحلة الى المشرق فى طلب العربية ، وزار مصر وأخذ عن نحويها أبى محمد ابن برى ، ورجع الى المغرب حاملا الكراسة الشهيرة التى تنتسب اليه وتعرف أيضا بالمقدمة الجزولية ، وقد قربه المنصور الموحدى اليه وأدنى منزلته منه [١٥٧] .

وظهر فى تونس على العهد الحفصى عدد من العلماء فى نفس الفرع من العلوم منهم : أبو الحسن على بن مؤمن بن محمد الخضرمى المعروف بابن عصفور المتوفى بتونس سنة ٦٦٩هـ ١٢٧١م [١٥٨] .

وفى أدب المقامات على نسق مقامات الحريرى ، أشتهرت مقامات أبى بكر بن زهر الحفيد التى تولى شرحها عقيل ابن عطية الطرطوشى المتوفى سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م [١٥٩] .

---

(١٥٥) يقول عنه ابن سعيد : « رئيس النحاة بالاندلس كان فى وقتـه عليما بالعربية وصناعتها لايجارى ولا يبارى قياما عليها واستبحارا فيها ، توفى فى صفر سنة ٦٤٥ هـ » المغرب فى بلاد المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٩—١٣٠ . أنظر أيضا : ابن الابار ، التكملة ، ص ٦٥٨ . الغبرينى ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ، ٢٦٦—٢٦٧ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٥٨ .

(١٥٦) المقرى ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٢—٣٩٦ . ابن سعيد ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣٦—١٣٨ .

(١٥٧) جنون ، النبوغ المغربى ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

(١٥٨) الغبرينى ، عنوان الدراية ، ص ٢٦٦—٢٦٨ .

(١٥٩) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٦—٢٠ .

ويضاف الى الاسماء السابقة أسماء فئة من أدباء وعلماء الدولة المرابطية البائدة ممن واصلوا خدمتهم خلفاء الموحدين ، فعادت بفضلهم الحركة الادبية فى المغرب الى ازدهارها ومنهم :

ـ على بن ابراهيم بن أحمد بن حمويه الازدى الشيرازى ، يكنى أبا الحسن ، ولد بمصر ونشأ بها ، « وتوجه مع أبيه الى مكة ، ورحل الى بغداد سنة سبع وستين وثلاثمائة فلقى علمائها ، ودخل البصرة ثم عاد الى مكة فحج ثانية ، ثم رجع الى مصر ، ثم حج حجة ثالثة ، وتوفى سنة ستة وعشرين وأربعمائة باشبيلية » (١٦٠) .

ـ القاضى عياض (٤٧٦ ـ ٥٤٤هـ) من مواليد مدينة سبتة ، رحل الى الاندلس ثم قصد المشرق ، وبعد عودته اشتغل بالقضاء والفتوى فى سبتة والاندلس حتى سقوط الدولة المرابطية ، فبايع عبد المؤمن ، ولكن عبد المؤمن بن على لم يلبث أن اتهمه بعد ثورة سبتة على الموحدين عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٥ م ، فاستقدمه الى مراكش ولكنه توفى بها فى العام التالى (١٦١) .

ويمثل أدب القاضى عياض فترة الانتقال من الدولة المرابطية الى الموحدية حتى قيل عنه : « .. أنه جاء على قدر ، وسبق الى نيل المعالى ، وأبتدر وأستيقظ لها .. والناس نيام . وقد أتيت من كلامه البديع الالفاظ والاغراض ما هو أبحر من العيون النجل والجفون المراض » (١٦٢) .

---

(١٦٠) ابن بشكوال ، نفس المصدر ، رقم ٩٢١ ، ص ٤٣٠ .

(١٦١) المقرى ، أزهار الرياض فى أخبار عياض ، ص ٢٣ـ٢٨ . انظر أيضا : ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، رقم ٩٧٤ ، ص ٤٥٣ـ٤٥٤ .

(١٦٢) المقرى ، أزهار الرياض ، ص ٢٩ . ابن فرحون ، الديباج المذهب ص ١٦٨ وانظر أيضا : الغبرينى ، عنوان الدراية ، ص ١١٠ ، ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ،محمد بن تاويت ، الصادق عفيفى ، الادب المغربى ، ص ١٥١ .

ومن أفضل نماذج نثره رسالة وجهها الى الفتح ابن خاقان [١٦٣] وكان شاعرا كذلك ، ومن مأثور شعره مدحه لقرية بليونش :

بليونش جنة ولكن
طريقها يقطع النياط
كجنة الخلد لا يراها
الا الذى جاوز السراط [١٦٤]

— أبو جعفر أحمد بن عطية القضاعى المراكشى ، ولد سنة ٥١٧ هـ / ١١١٩ م وأستكتبه المرابطون فى آخر عهدهم وبداية الدولة الموحدية ، وبلغ ذروة مجده بجده وأجتهاده فجمع بين الوزارة والكتابة .

التحق فى بداية حياته بالدولة اللمتونية ، المرابطية ، فكتب لعلى بن يوسف ، وظل يشتغل بالكتابة الى أن دالت دولتهم ، فدخل فى خدمة الموحدين وحارب مع أبى حفص عمر أهم قواد الموحدين فى السوس فى القضاء على ثورة الماسى بن هود . ولقد طلب أبو حفص هذا من يكتب عنه وصف هذا الفتح الى عبد المؤمن ، فدلوه على أبى جعفر ، فاستدعاه وكتب عنه . ولما بلغت الرسالة عبد المؤمن أستحسنها ، فاستدعاه وقلده الكتابة ثم استدناليه

---

(١٦٣) وفيها يقول : « .. عمادى ابا النصر ؟ مثنى الوزارة ، ووحيد العصر ، هل لك فى منة تفوت الحصر ، تحف محملا ، وتبلغ املا ، وتشكو قولا وعملا ، شكرا تترنم به الحداة ثقيلا ورملا ؟ اذا بلغت الحضرة العلية مستلما ، ولقيت الطاهر بن طاهر فخر الوزارة مسلما ، وحللت به فتائه الارحب حرما ولمست بمصافحته ركن المجد بندى كرما .. » محمد بن تاويت ، الادب المغربى ص ١٥٤—١٥٦

(١٦٤) المقرى ، أزهار الرياض ، ص ٣٤ . محمد بن تاويت ، نفس المرجع ، ص ١٥٧—١٥٩ . ويذكر عن قرية بليونش انها « قرية قديمة بجوار سبتة مابين جبل موسى والبحر » .

الوزارة لما آره فيه من حصافة ورجاحة العقل ، وكانت تلك الوزارة « زينا للوقت وكمالا للدولة » .

وقد بلغ أبو جعفر منزلة رفيعة وكثر حساده عليها فكالوا له حتى أوقع به ، وأنتهى الامر بقتله وقتل أخيه أبو عقيل بن عطيه فى سنة ٥٥٣ هـ (١٦٥)

وتعتبر رسائل ابى جعفر من الرسائل الديوانية ، ويشبه فى ذلك معاصره المشرقى القاضى الفاضل فى الاطناب والزخرفة ويتمثل ذلك فى رسالته التى أورثته الوزارة : « كتابنا هذا من وادى ماسه بعد ما تجدد من أمر الله الكريم ونصر الله تعالى المعهود المعلوم ، ما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ، فتح ، بهر الانوار اشراقا ، وأحدق بنفوس المؤمنين اطواقا ، ونبه للامانى النائمة جفونا واحداقا ، واستغرق غاية الشكر استغراقا ، فلا تطيق الالسن لكنه وصفه ادراكا ، ولا لحاقا ، جمع أشتات الطلب والارب ، وتقلب فى النعم أكرم منقلب ، وملأ دلاء الامل الى عقد الكرب .

فتح تفتح أبواب السماء له
وتبرز الارض فى أثوابها القشب » (١٦٦) .

---

(١٦٥) هو « من أهل طرطوشة ، وقيل من قطر دانية . يكنى أبا أحمد ، وكان من أهل الحفظ للحديث والمعرفة بالتوثيق ، سكن مراكش فحظى عند على بن يوسف بن تاشفين ، وولد له بها أولاد ، ولما أنتقل الامر للموحدين دخل فى طاعتهم » . العباس بن ابراهيم ، الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام ج ٣ ، رقم ٣٧٤ ، ص ١٠٢ وأنظر أيضا : أحمد بن القاضى . السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣١ . محمد بن تاويت ، الادب المغربى ص ١٧٤—١٨١

(١٦٦) المقرى ، النفح ، ج ٧ ، ص ١١٣—١١٤ .

ولما شعر أبو جعفر بمدى ما فعله الحاسدون من ايغار صدر عبد المؤمن عليه كتب الى عبد المؤمن يعتذر اليه ويستعطفه ، من ذلك قوله : « بالله لو أحاطت بى كل خطيئة ، ولم تنفك نفسى عن الخبرات بطيئة ،حتى سخرت بمن فى الوجود ، وأنفت لآدم من السجود ، وقلت : ان الله تعالى لم يوح، فى الفلك لنوح ، وبريت لقدار ثمود نيلا (عاقر ناقة صالح) وأبرمت لحطب لخليل حبلا ... وأتيت حضرة المعلوم لائذا ، وبشير الامام المهدى عائدا ، لقد آن لمقالتى أن تسمع ، وتغفر لى هذه الخطيئات أجمع ،مع أنى مقترف وبالذنب معترف :

خففـــوا أميـــر المـــؤمنين فمن لنـــا
بـــرد قلوب هـــدها الخفقـــان[١٦٧]

ولقد ندم عبد المؤمن أشد الندم على فقدان ابن عطية وذلك عنـدما أراد امتحان الشعراء بهجو ابن عطية فأسمعوه ، فأعرض عنهم وقـال : « ذهب ابن عطية ، وذهب الادب معه »[١٦٨] .

ـ أما رسائل أبو عقيل بن عطية (٥٢٠ ـ ٥٥٣ هـ) فكانت مثـل رسائل أخيه أنموذجا احتذاه من تبعه من الكتاب ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الرسائل تفضح تشبعهما الواضح والقول بعصمة الامام المهدى .

ـ وهناك من يمثل الادب المغربى أيضا فى النصف الثانى من القرن ٦ هـ والى بداية ٧ هـ مثل : القاضى أبى جعفر عمر بن عبد الله السلمـى الاغماتى (٥٣٠ ـ ٦٠٣ هـ) ويمتاز برقة شعره ، بل نجده يأمر بالصلاة على ممدوحه مثل ما كان يفعل فى رسائله الموحدية التى تصلى على المهدى

---

(١٦٧) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٧ ، ص ١١١ـ١١٢ .
(١٦٨) المقرى ، نفسه ، ج ٧ ، ص ١١٠ـ١١٢ . السلاوى ، الاستقصا ج ٢ ، ص ١٣٣ .

بن تومرت • وجاءت قصائده على غرار قصائد شعراء الشرق (١٦٩) •

ـ شاعر الدولة الشهير : أبى العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى الزناتى شاعر الخلافة ، وصاحب المكانة الرفيعة لدى الموحدين ، ولد فى نهاية القرن ٦ هـ ، وتوفى سنة ٦٠٩ هـ • وكان عبد المؤمن يتفاخر به حيث قال له فى الاحتفال بتحصين جبل الفتح (جبل طارق) : « يا أبا العباس أنا نباهى بك أهل الاندلس » مشابها فى ذلك مقولة المعز الفاطمى فى شاعره ابن هانىء : « كنا نريد أن نباهى به شعراء المشرق » • وعمر أبو العباس طويلا فكان شاعر عبد المؤمن وشاعر خلفائه يوسف ثم يعقوب المنصور ثم الناصر (١٧٠) •

ـ ابن خبازه ، ميمون بن على بن عبد الخالق الخطابى الصنهاجى المعروف بابن خبازه (ت ٦٣٧ هـ) من أهل فاس كان ضليعا فى الفقه واللغة وأتقن أساليب البلاغة فجاء شعره « محكم النظم والتركيب » •

ـ أبو بكر بن يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهرى، شاعر المغرب (ت ٥٨٨ هـ) بل كان يعتبر شيخ الشعراء ويتمثل ذلك فى قول يعقوب المنصور له : « •• كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر » (١٧١)

ومن جميل ما قاله فى مقصورة المنصور الموحدى بجامع الكتبية بمراكش وكانت عجيبة الصنع :

طورا تكون بمن حوته محيطة
فكأنها سور من الاسوار

---

(١٦٩) محمد بن تاويت ، الادب المغربى ، ص ١٨٨—١٩٢ .
(١٧٠) محمد بن تاويت ، المرجع السابق ، ص ١٩٣—١٩٨
(١٧١) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ .

وتكـــون حينـــا عنهم محجوبـــة
فكأنهـــا سر مـــن الاســـــرار

وكأنهـــا علمت مقاديـــر الـــورى
فتصرفت لهم علـــى مقـــــدار

فـــاذا أحسب بالامـــام يزورهـــا
فى قومـــه قـــامت الى الـــزوار

يبـــدو فتبـــدو ثم تخفى بعـــده
كتكـــون الهـــالات للاقمـــار (١٧٢)

ومن أهم ما ظهر فى حياة الادب المغربى فن الزجل أو ما يعرف بفن الملحون ، ويشتمل على الاغراض الشعرية كالحماسة والحرب والـــوصف والمدح • ومن أشهر الزجالين ، الزجال المغربى ابن غزلة ، الذى كان ينظم الموشح والمترنم ، فيلحن فى الموشح ويعرب فى الزجل (١٧٣) •

وكان لانتعاش الحياة الادبية المغربية عموما أثر كبير فى اشتغـــال المرأة المغربية بالعلم والمعرفة ، ومن أمثلة ذلك ام هانى بنت القاضى عبد الحق بن عطية التى درست على ولدها وكان لها تواليف فى الوعظ والارشاد وزينب ابنة يوسف بن عبد المؤمن على الاصول ، وحفصة الركونية كـــانت أستاذة نساء دار المنصور (١٧٤) وأم عمرو بنت أبى مروان ابن زهر طبيبة

---

(١٧٢) المقرى ، نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٢٤ .
(١٧٣) الجرارى ، الادب المغربى ، ص ١٧٥—١٧٦ . جنون ، النبوغ المغربى ، ج ١ ، ص ١٢٩ .
(١٧٤) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ١٧١ . ابن الخطيب ، الاحاطة ج ١ ، ص ٤٩٣ . وانظر عنها أيضا : العباس بن ابراهيم ، الاعلام بمن حـــل بمراكش واغمات من الاعلام ، رقم ٤٣٠ ، ص ٢١٢—٢١٨ .

دار المنصور ، وأبنتها كانت عالمة فى صناعة الطب والولادة ، ورقـاء بنت ينتان الفاسية الاديبة الشاعرة ، وأمة العزيز السبتية التى كان لهـا شعر رائع وأم العز العبدرية وكانت مجودة ، روت عن أبيها صحيح البخارى ، ومنهم زينب القرقولية وروحية عتيق الغسانى نزيلة أغمات ومـراكش وكانت أستاذة فى القراءات السبع ، وأم المجد مريم بنت أبى الحسـن الغافقى الذى أنشأ مدرسة للغرباء فى سبتة وحبس عليهم أول مكتبـة بالمغرب ، وخيرونة الفاسية التى كانت تحضر مجلس عثمان السلالى امام أهل فاس فى الاصول ولها ألف القصيدة البرهانية على طريقة الاشعرى[١٧٥] وهناك أيضا أسماء العامرية الاشبيلية الشلبية التى كتبت الى يعقـوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها [١٧٦] .

ثم هناك مدرسة الفكر الصوفى المغربية الشهيرة ، وكان على رأسها فى المغرب الصوفى أبو العباس السبتى ، وهو أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجى المعروف بالسبتى ، دفين مراكش عام ٦٠١ هـ وكانت له قـدرة خاصة خارقة فى الكلام لا يناظره فيها أحد الا أفحمه ، وفى ذلك يقـول السلاوى : « كان الشيخ أبو العباس جميل الصورة ، فصيح اللسـان ، أبيض اللون ، حسن الثياب قادرا على الكلام ، لا يناظره أحدا الا أفحمه ، حتى كان مواقع الحجج من الكتاب والسنة موضوعة على طرف لسانه »[١٧٧] وكان مذهبه يقوم على التوكل والصدفة ويعبر السلاوى عن ذلك بقوله :

---

(١٧٥) عبد العزيز بن عبد الله ، تاريخ الحضارة المغربية ، ص ١٠٩ . جنون ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

(١٧٦) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ٢٨—٢٩

(١٧٧) السلاوى ، الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٦١ .

« .. كان برا باليتامى والمساكين ، رحيما بهم ، يجلس حيث أمكنه الجلوس فى الاسواق والطرقات ، ويحض الناس على الصدقة ، ويأتى بما جاء فى فضلها من الايات والاثار فتنثال عليه من كل جانب ، فيفرقها على المساكين وينصرف فكان له مع الله تعالى فى التوكل عليه عقد أكيد ، ومقام حميد » (١٧٨) .

ومن هؤلاء المتصوفة القاضى عياض (١٧٩) ، والشيخ أبو محمد عبد السلام بن مشيش (١٨٠) ، والفقيه أبو اسحق ابراهيم بن محمد السلمى البلفيقى (١٨١) وأبو مدين شعيب ابن الحسن نزيل بجاية ، وكان يعقوب المنصور قد دعاه لامتحان مذهبه ولكنه توفى فى الطريق الى مراكش ودفن بتلمسان فى الموضع المعروف بالعباد سنة ٥٩٤ هـ (١٨٢) .

ومنهم من أعطى صورا مختلفة لحياة التصوف مثل : يوسف بن محمد بن عبد الله المالقى المعروف بابن الشيخ ، الذى كانت طريقته تحث على الجهاد والشهادة فى سبيل الله ، وعلى خدمة المصلحة العامة ، وتأسيس معاهد للدين ، ولذلك غزا ابن الشيخ عدة غزوات مع يعقوب المنصور ورحل الى المشرق وغزا مع صلاح الدين عدة غزوات أيضا ثم عاد الى بلده وبنى بها ٢٥ مسجدا من ماله الخاص خدم فيها بيده ، وحفر خمسين بئرا (١٨٣) .

---

(١٧٨) السلاوى ، نفسه ، والصفحة .

(١٧٩) هو عياض بن موسى بن عياش بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد ابن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى ، ينتمى الى سبتة (المقرى ، ازهار الرياض فى اخبار عياض ، ج ١ ، ص ٢٣) .

(١٨٠) توفى ابن مشيش فى سنة ٦٢٢ أو ٦٢٥ هـ . انظر : السلاوى ، نفسه ج ٢ ص ٢٦٢

(١٨٢) يذكره الغبرينى فى مؤلفه رغم كونه فى اعقاب المائة السادسة ، انظر ، عنوان الدراية ، ص ٥٥—٦٤ ، المقرى ، نفح الطيب ، ج ٩ ، ص ٣٤٢

(١٨٣) ملين ، عصر المنصور ، ص ٢٥٨—٢٥٩ .

(٤)

الصـــلات الفنيـــة

كان المشرق الاسلامى منبعا خصبا للتأثير العلمى والادبى والفنى ؛ وقد رأينا كيف أن بلاد المغرب الاسلامى فى عصر الموحدين تعرضت لموجات من التأثيرات العلمية عن طريق الرحالة المغاربة لطلب العلم فى المشرق أو عن طريق علماء المشرق الذين أستقروا فى المغرب والاندلس • وكما تأثـــر المغرب الاسلامى فى عصر الموحدين والحفصيين بالمشرق علميا فقد تأثـــر كذلك فنيا ، ويضرب المقرى نقلا عن ابن الرقيق المغربى فى كتابه قطـــب السرور مثلا معبرا عن مدى تأثير الفن المشرقى فى المغرب الاسلامى •وقد ذكر أن عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب كان واحد عصره فى الغناء الرائق والادب الرائع والشعر الرقيق واللفظ الانيق ورقة الطبع وعلـــو الهمة ، وكان قد قطع عمره وأفنى دهره فى اللهو والطرب والفكاهة وكان أعلم الناس بضرب العود وأختلاف طرائقه وصنعة التجويد وكـــان ينظم الابيات ويصوغ عليها الالحان العجيبة ، وكان يجتمع عنده اخوانه وخلانه يغنون بين يديه وأتخذ له زامرا هو بشارة الزامر • وكان من حذاق زمرة المشرق أستقر عنده ، وكان لا يطرأ على ابن الحسين الحاجب من المشرق مغن الا نزل عنده ووصله منه كل صنوف البر والاكرام ، وبينما كان جالسا فى مجلس طرب وأنس ذات ليلة اذ دخل عليه بعض غلمانه فقال:«••بالباب رجل غريب عليه ثياب السفر ذكر أنه ضيف ، فأمر بادخاله ، فاذا رجـــل أسمر سناط [١٨٤] رث الهيئة ، فسلم عليه ، قال : اين بلد الرجل ، قال : البصرة ، فرحب به ، وأمره بالجلوس ، فجلس مع العلماء فى صفـــه [١٨٥]

---

(١٨٤) سناط : معناها ليس فى لحيته شعر .
(١٨٥) الصفة هى المكان المظلل .

وأتى بطعام فأكل وسقى أقداحا ، ودار الغناء فى المجلس ، حتى أنتهى الى آخرهم ، فلما سكتوا اندفع يغنى بصوت ندى وطبع حسن ، وطـرب عبد الوهاب وصاح ، وتبين الحذق فى اثاره ، والطيب فى طبعه ، وقال : «ياغلام خذ بيده الى الحمام ، وعجل تملى به ، فأدخل الحمام ، ونظف ثم دعا عبد الوهاب بخلعة من ثيابه فألقيت عليه ، ورفعه فأجلسه عن يساره ؛ وأقبـل عليه وبسطه فغنى له .. فطرب وشرب واستزاده ؛ فمر يوم من أحسـن الايام وأطيبها ، ووصله ، وأحسن اليه ، ولم يزل عنده مقربا مكرما ، وكان خليعا ماجنا مشتهرا بالنبيذ ، فخلاه وما أحب ؛ ثم وصف له الأنـدلس وطيبها ، وكثرة خمورها ، فمضى اليها ومات بها . وعلى نحو هذه الحـال كان يفعل بكل طارىء يطرأ من المشرق » (١٨٦) .

ويعلق ابن الرقيق بقوله : « وعلى هذا الحال كان يفعل بكل طارىء يطرأ من المشرق ولو ذكرتهم لطال بهم الكتاب » (١٨٧) .

ومما لا شك فيه أن كثيرا من التأثيرات الفنية المشرقية فى المغـرب الموحدى والحفصى أرتبطت بدخول العرب الهلالية والمماليك الغـز أرض المغرب وقد أستقرت هذه التأثيرات لفترة طويلة فى أرض المغرب بحيـث أسهمت اسهاما كبيرا فى تمشرقه فى العصر موضوع الدراسة .

أما فى مجال الفنون والصناعة والزخرفة فقد كان التأثير المغـربى على المشرق أكثر وضوحا لكثرة وفود الرحالة المغاربة الى المشرق الاسلامى طلبا للعلم أو لاداء فريضة الحج أو للتجارة والتكسب (١٨٨) .

---

(١٨٦) المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٨١ ، ولمزيد عن الفن والفنون راجع ، د . سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ١١٨—١١٩ .

(١٨٧) المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

(١٨٨) د . سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، ج ٢ ، ص١٨٢—١٩٥ ، ص ٢٠٠—٢٠١ .

وأبرز مثل للتأثيرات المغربية ارتباط كلمة الزليجى المغربية وتقابل الفسيفساء المشرقى بكلمة « زليزلى » العامية وأنتشار ذلك فى مصر بوجه خاص باعتبارها أكثر الاقطار المشرقية أرتباطا بالمغرب وتعرضا لتأثيراته وفى ذلك يقول المقرى : « ويصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف فى المشرق بالفسيفساء ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجى يشبه المفضض وهو ذو ألوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملون الذى يعرفه أهل المشرق فى زخرفة بيوتهم كالشاذروان وما يجرى مجراه » (١٨٩) .

(١٨٩) المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٨٧—١٨٨ . وان هذا الفسيفساء يستخدم ايضا فى تغطية الاجزاء الدنيا من الجدران أو ما يدور بأعلاها من طرز خشبية تحت السقف مباشرة . راجع فى ذلك : د . سالم ، بعض المصطلحات للعمارة الاندلسية المغربية ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، المجلد الخامس ، العدد ١—٢ ، ١٩٥٧ ، ص ٢٤٤—٢٤٥

الخاتمـــــــــة

ننتهى فى الخاتمة الى أن البحث أفاض فى الكشف أساسا عن الوجوه المختلفة لعلاقات دولة خلافة الموحدين بدولتى الايوبيين والمماليك فى عالم الخلافة الاسلامية — مغربية ومشرقية — وهو العالم الذى يمثل القطاع الاعظم من أرض الاسلام • ومثل هذا البحث يعرض لمعالم تلك الوجوه كما يعرض للقضايا التاريخية المتصلة بهذه المعالم •

وفضلا عن ذلك ، فقد رصد البحث عددا من الظاهرات التاريخيـــة التى مازالت فى حاجة الى المزيد من الدراسات المتخصصة • فهناك نظام التمييز ونظام الصفوة العشرى الذى كان كل منهما يشكل أساسا مـــن أسس الدولة الموحدية وعنصرا رئيسيا من عناصر فكرها وتنظيماتها وماخلفه هذان النظامان من آثار على مواقف رعاياها من المسلمين فضلا عن أهـــل الذمة لا سيما اليهود • فكان أن عرض هذا البحث لاصول هذه الظاهرة فى الفكر المغربى ، فضلا عن دراسة الاصول الفكرية الموحدية ذاتها وصـــلة ذلك بالفكر المشرقى • وأثبت البحث فى هذا المجال بخلاف ما ذهبت اليـــه الدراسات السابقة أن الفكر الشعبى المغربى ومؤثرات البيئة المغربية كانا لهما فى تلك الاصول ومن قبل رحلة ابن تومرت الى المشرق قدر كبير الى جانب الفكر المشرقى ، وهو ما سنؤكده من جديد عند العودة الى ذكر هذه الاصول فى نهاية الخاتمة •

كذلك هناك ظاهرة معارك الموحدين مع القبائل العربية المشرقيـــــة وأستمرارها زمنا طويلا ، الامر الذى طرح على القبائل العربيـــة القبول بأحد الخيارين : الانخراط فى صفوف الموحدين وقبول سيادتهم السياسية والدينية أو عدم القبول بهذا الانخراط فى اطار من التمرد القبلى المجرد

من أى سند سياسى فضلا عن الدينى • وحدث بالفعل أن أنتهت علاقات الموحدين بعرب المشرق الى الخيار الاول • غير أن طورا آخر من تاريخ العلاقات الموحدية بالمشرق قد استجد بقيام الدولة الايوبية والاتساع فى حدودها من مصر باسم الخلافة العباسية المنافسة للخلافة الموحدية • ويتأرجح الخيار العربى هذا من دولتى الخلافتين الاسلاميتين المغربية والمشرقية الى ما بعد أنتهاء الدولة الموحدية من مراكش وأحيائها فى تونس وأنتهاء الدولة الايوبية من القاهرة وقيام الدولة المملوكية محلها •وجسمت هذا الموقف المتأرجح أحداث حملة قراقوش ، وما تمثله من تحالف أيوبى وعربى ضد الموحدين ، كما جسمته من ناحية أخرى ظاهرة انخراط العديد من العرب فى صفوف الجند الموحدية فضلا عن ثوراتهم ضد الحكم المملوكى فى مصر وما تمثله من تحالف موحدى عربى ضد المماليك •

لذلك فصل البحث فى دراسة جوانب هذه الاحداث العربية وماتمثله من معالم سياسية وحربية فى العلاقات بين المشرق والمغرب فى العصر الموحدى • ومع تشدد منظور الخلافة الموحدية المهدوية الرافض لغيرها من الدول ، والقاضى بتكفير كل خارج على سلطاتها وتعاليمها ، أوضح البحث كيف أن العلاقات الاسلامية العامة كانت تغلب أحيانا كما وقع فى طلب السلطان صلاح الدين الايوبى من الخليفة الموحدى يعقوب المنصور على يد رسوله ابن منقذ بقيام البحرية المغربية بعرقلة المسيحين (الكفار) فى الغرب وعدم تمكينهم بارسال المدد الى اخوانهم فى الشام، مما يمكن مسلمى المشرق من فك الحصار المضروب على مدينة عكا •

وأثبت البحث أن هذا الطلب العسكرى الايوبى من المغرب استند الى ما كانت تتمتع به دولة الخلافة الموحدية من قوة بحرية أعدت أعدادا قويا منذ عام ٥٥٧ هـ • ورغم الحفاوة والكرم التى لاقاها ابن منقذ أثناء

أقامته فى مراكش وما تلقاه عند عودته من الهدايا ، فقد ذهبت أقوال عن عدم تلبية المنصور طلب صلاح الدين وتعددت التفسيرات من جانب المؤرخين والكتاب فى ربطهم السبب بعدم تصدير الرسالة الايوبية بلقب : « الخليفة يعقوب المنصور أو أمير المؤمنين » ولكن الحقيقة التى أثبتها البحث فضلا عن هذا التعليل هى أن المنصور كان مشغولا بأخطار صليبية على أملاكه الاندلسية والافريقية لم تكن بأقل من الخطر الصليبى على عكا ، وهى الاخطار التى حسرتها جيوش الموحدين بانتصارهم فى معركة الارك الشهيرة سنة ٥٩١ هـ / ٤ — ١١٩٥ م • وفى رأى المغاربة أن المنصور الموحدى أعتبر نفسه بذلك قد ساعد المشرق الاسلامى فى القضاء على الزحف الصليبى الى الشام مما أدى الى كسب صلاح الدين معاركه بها ، ومن ثم غلب هذا الرأى بظاهرة وحدة المواقف الاسلامية العامة فى التاريخ

وبانتقال مقر الخلافة الموحدية من مراكش الى مقر الحفصيين فى تونس ، صادف أن وقع أيضا فى المشرق حدث قيام الدولة المملوكية محل الدولة الايوبية فى حكم مصر والشام وحدث انتقال مقر الخلافة العباسية من بغداد الى القاهرة بعد اجتياح المغول للاراضى المشرقية حتى بغداد •

وترتب على هذه الاحداث العودة بالموحدين فى شخص الحفصيين الى التشدد فى دعواهم بخلافتهم كخلافة واحدة لجميع العالم الاسلامى ونالوا فى ذلك تأييد بيت الاشراف فى مكة المكرمة ، وجاءت للحفصيين بيعة مكة سنة ٦٥٧ هـ / ٨ — ١٢٥٩ م •

وأفادت هذه البيعة بمدى ما أصاب الخلافة المشرقية العباسية من تدهور فى مقامها الدينى والسياسى • غير أن مبادرة المماليك فى العمل على تجديد المقام الدينى للخلافة العباسية من القاهرة قد أضعف من جديد من

أنتصار المشارقة للدعوة الموحدية • وفى هذا الصدد ، أختلف البحث مع الرأى الذى ذهب اليه الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى بشأن حجم أنصار الموحدين فى مصر والشام بأن علق البحث قدر هذا الحجم على درجة التدهور فى قوة دولة المشرق وخلافتها الاسلامية ، بمعنى أن هذا القدر كان يزداد عندما تضطرب هذه الدولة ويضعف دور خلافتها ويعود هذا القدر الى النقصان بعودة دولة المشرق وخلافتها الى سابق قوتها ودورها التاريخى • لذلك ، مع أستقرار الاوضاع فى كل من دولة المغرب الحفصية الموحدية ودولة المشرق المملوكية قصرت كل دولة نشاطها السياسى والحربى على الاخطار الاوربية التى تهددها ، وفى ذات الوقت سمحت صلات الجوار بعلاقات اقتصادية وثقافية وفنية بين المغرب والمشرق أعظم مما كانت من قبل • ودليلنا على ذلك هنا أن مصر ومدينة الاسكندرية فيها على الخصوص قد صارت بمثابة الوطن الثانى للحفصيين ، فهى الملجأ والملاذ لهم من أضطهاد السلطات الحاكمة فى تونس • حدث ذلك عندما فر السلطان أبو يحيى زكرياء الليحيانى الى الاسكندرية بأبنائه : مصرى وسكندرى ، وعبد الله الواحد ومات ودفن بها هو وابنه سكندرى • ومثال آخر عندما هرب السلطان محمد بن أبى ضربة الى الاسكندرية بحرا وأقام بها حتى وفاته سنة ٧٢٧ هـ أو ٧٢٨ هـ • ولم يكن هذا اللجوء بمصدر تضرر للسلطات الحفصية ، فكثيرا ما أعتبرت هذه السلطات مصر منفى طبيعيا للمغضوب عليهم فى دولتها •

وفى هذا المجال أثبت البحث أن الأمر وصل فى فترة ضعف السلاطين الحفصيين ، من عهد الواثق بن المستنصر وما بعده ، الى حد اقتراب الحكام الحفصيين من الدولة المملوكية فى مصر باعلان اسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بدلا من أسم المهدى فى خطبة الجمعة • ولكن لم يمنعهم ضعفهم هذا من تحول ميولهم عن المشرق تحت حكم المماليك الى المغرب تحت حكم

المرينيين أو العكس تبعا لقوة الدولة الاسلامية فيهما • ومثل هذا الموقف انما يعد تكرارا لظاهرة تاريخية كثيرا ما أتبعتها الدول الاسلامية عموما •

وأثبتت الدراسة أيضا فى صدد العلاقات الموحدية المملوكية كيف تطور دور الجند الترك الغز على حساب دور الجند العرب • وكان دور هؤلاء الترك قد ظهر من أيام الايوبيين عندما استخدمهم الخليفة الموحدى يعقوب المنصور كحرس خاص له ، ووضح أهتمامه بهم من قوله : « أن هؤلاء الترك الغز أحب الى من هؤلاء (أى العرب) » • وقد صار لرجال هذا الحرس مركز الصدارة فيما دار من حروب بين البيوتات الحفصية • ثم توسعت الدولة الحفصية فى استخدام الترك بالعمل على انخراطهم فى سلك الجندية الحفصية جنبا الى جنب مع العرب ، وأزداد ضعف الاخيرين الى جانب الترك باستخدام جند الجناوة أيضا ، وهم المجلوبون من السودان •

وزاد من ضعف نفوذ العرب العمل على تجريدهم من ثقلهم الاقتصادى المستمد من تخويلهم حق فرض اتاوة الخفارة مقابل حراستهم للقوافل التجارية وقوافل الحجيج ، وذلك عندما استبدل الحفصيون هذه الخفارة برواتب وعطايا من الدولة شأنهم فى ذلك شأن الموظفين مما أدى الى استقرارهم وتأسيس القرى مثل : القلعة الصغرى والكبرى وأكودة الحمام فى القرن ٨ هـ •

وكما توسع الحفصيون فى استخدام أتراك وعرب المشرق ، نجد على الجانب الاخر استخدام المغاربة فى جندية المشرق • وقد لعب هؤلاء المغاربة دورا بارزا فى أحداث عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م فى الحملة الصليبية القبرصية على مصر ؛ وما قاموا به من أعمال دفاعية مجيدة حموا بها سكان مدينة

الاسكندرية • كذلك أثبت البحث أن المغاربة كونوا غالبية فى الاســـطول المصرى المملوكى الذى تم على يديه استتاب الامن فى الحجاز الى عهــد السلطان الغورى المملوكى •

وظهر من البحث أن جالية مغربية كبيرة قــد أستقرت فى الاراضى المصرية وتألف منها الى جانب الجند المغاربة غالبية تجارية تركت تأثيرا واضحا على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفنية • ويتجلى هذا الاثر فى وجود زنقة الستات وهى ما تعنى الشارع فى اللهجة المغربية، واستخدام نون الجماعة فى اللهجة السكندرية ، ولبس النعال (البلغة) والبرانس ، وكذلك ادخال أكلات « الكسكسى والمحمصة والشعرية »المغربية فى عادات الغذاء السكندرية •

ومن هذه الجالية المغربية أيضا ذلك العدد الكبير من فقهاء المغاربــة وما شغلوه من مكانة فىالحياة التعليمية والفقهية المصرية عموما والسكندرية خصوصا ، ولمع أعلام من هؤلاء أمثال : الطرطوشى ، أبو الحسن الشاذلى وأبو العباس المرسى وغيرهم ممن ورد ذكرهم فى البحث • كذلك تــولى العدد الكبير من المغاربة وظائف القضاء والفتيا ، بل تقرب عدد لا بأس به منهم الى السلطات الحاكمة خاصة المملوكية • فعرض البحث لاسماء عدد كبير من المشايخ الخاصة للسلطان ، وقراء القرافة الخاصة ، بــل وصلت أهمية هؤلاء المغاربة الى حد استخدامهم كسفراء ورسل مثلما حــدث فى عهد السلطان قايتباى عندما استخدم ابن محفوظ المغربى سفيرا له ،هذه المكانة الكبيرة التى شغلتها الجالية المغربية فى مصر تفسر ما ذهب اليه عامة من أعتقاد فى كرامات شيوخهم حتى أقيمت لهم المقامات التى أصبحت على مر العصور مزارات هامة •

وكشف البحث أيضا عن تاريخ هذه الجالية الى أن عددا كبيرا من أفرادها عاد بعد فترة من الاستقرار بالمشرق الى موطنه حاملا معه علوم المشرق كى تؤثر بدورها على الحركة الفكرية والادبية بالمغرب • وقد أظهر البحث فى أكثر من موضع معالم هذا الاثر الفكرى المشرقى فى العصر الموحدى سواء بالنسبة لفكر المرشدية فى العقيدة الموحدية أو بالنسبة للاثر العام على التراث الفكرى المغربى فى كتابات الاعلام المغاربة من أمثال القاضى عياض وأبى جعفر أحمد بن عطية القضاعى ، وأخيه أبى عقيل بن عطية ، وأبى جعفر عمر بن عبد الله السلمى الاغماتى ، وأبى العباس الجراوى وابن خبازة ، وابن غزلة رائد الزجل المغربى المعروف بالملحون •

ومن هذه المؤثرات الثقافية أيضا تلك المدرسة الصوفية المغربية التى قامت على غرار مدرسة الاسكندرية الصوفية على يد مؤسسها عبدالسلام بن مشيش وأبى العباس السبتى •

وظهر للمرأة المغربية دور أيضا مماثل لدور المرأة الشرقية فى الحياة الادبية حسبما ورد من تفصيل فى البحث • هذا فضلا عن التأثيرات الفنية المتبادلة •

وفى مجال الحياة الاقتصادية ظهر من البحث أهمية دور كل من الاسكندرية وتونس فى العلاقات التجارية بين الشرق والغرب عبرمسالكها البرية والبحرية • وأوضح البحث أثر الطريق البرى القادم من السودان الغربى عبر الطريق الصحراوى على أزدهار النشاط الاقتصادى وزيادة رفاهية المجتمع المغربى والمشرقى على السواء الى حد التأثير على الدورة النقدية ، وما تخلفه من أرتفاع وأنخفاض فى قيمة العملة •

ومن دراسة شكل العملة الموحدية الوارد نموذجها فى البحث ، ظهر بالفعل اختلاف فى قيمة الدينار الموحدى عن نظيره المرابطى بناقص نصف جرام (٥ر١ ج : ٢ ج) • واظهر البحث أثر دور اليهود فى هذا الصدد الذين ذهبوا منذ القرن الحادى عشر الى صهر النقود الفضية بدلا من الذهبية ، وبالرغم من ظهور الدينار الذهبى الحفصى المعروف بالتونسى والمرصود نموذجه أيضا فى البحث ، فقد ظهر لفترة الحندوس أو الفلس النحاس الذى سرعان ما ألغى بسبب الثورة على انخفاض قيمة العملة والغش فى أوزانها •

وبالنسبة للطريق التجارى البحرى ، فقد أوضح البحث الدور البارز لكل من الموانى الموحدية والمشرقية فى الدورة التجارية بحوض البحر المتوسط والصلة الوثيقة لهذه الدورة بالتجارة الاوربية •

ومن خلال ما توفر لدى صاحبة البحث من مراسلات موحدية لم يسبق تناولها فى الدراسات العربية ، أبرز البحث تنظيم الموحدين لاسس التعامل التجارى مع أوربا عبر كتب الامان الصادرة للتجار ، وأعداد قوائم حصر التجار الاحياء منهم والاموات بهدف تسوية الحقوق وأداء ماعليهم من واجبات ، وانشاء وظيفة الوكيل لحل المشاكل المترتبة عن العقود بين المغاربة والاوربيين ، فضلا عن وظائف العدول (الشهود) والدلالين (الوسطاء) • وقد أشتغل بأعمال الوساطة التجارية المسلمون والمسيحيون من مختلف الاقطار ، فكان منهم المصرى والعراقى والشامى والتلمسانى والطنجى والتونسى والبجاوى والجنوى والبندقى وغيرهم ممن ظهروا فى طيات البحث •و بتعدد هؤلاء المشتغلين بتلك الدورة التجارية البحرية المشرقية ــ المغربية ــ الاوربية ، كثرت الفنادق وتعددت الاسواق فى بلاد

الموحدين على غرار ما كان ببلدان المشرق ، كما عرفت مدنها الابواب التى تغلق ليلا بالمتاريس •

كذلك أثبت البحث مختلف السلع التجارية كما سجلتها المراسلات الموحدية السابق ذكرها • ومن هذه السلع : الجلود : الزيتون وزيته ، الكروم ، التمور ، الشمع ، الملح ، حب الفلفل ، الزنجبيل • القرفه أو الدارصينى • ملح النوشادر • الزئبق ، الخشب عموما وخشب الصنوبر خصوصا القادم من طرطوشة بالاندلس • وقدمت نصوص هذه المراسلات معلومات أخرى عن مقدار المكوس المقررة على هذه السلع تحصيلا للعشر حسب الشريعة الاسلامية وان أختلف مقداره الحقيقى فيما بين ٨ ٪ ، ٢٠ ٪ من ثمن البيع • وأظهر البحث أن الاختلاف فى مقدار المكس كان يرجع الى أسباب مختلفة منها ما يتعلق بعقيدة التاجر (مسلم — نصرانى — يهودى) ومدى تقربه من السلطان ، فضلا عن نوع البضاعة التى يتاجر فيها • وعموما فقد تم تصنيف مقدار المكس على النحو التالى :

١٠ ٪ للاجانب ، ٥ر٢ ٪ للمسلم ، ٥ ٪ للذمى •

كذلك ، توصل البحث فى هذا المجال الى معرفة نوعية المواد التجارية المعفاة من المكس وهى : الذهب والفضة والرصاص والشب • كما أثبت البحث أنواع العقوبة المنصوص عليها لكل من يخالف تلك القواعدوالشروط المعلنة فى العقود التجارية • وأثبت البحث ضمن ملاحقه نص عهد الامان الصادر من هذا النص المحفوظ ضمن الاوراق الموحدية المذكورة عاليا أن الفضل فى صدور هذا العهد يرجع الى مناشدة السلطات الحفصية فى تونس السلطان المملوكى بأن يرعى مصالح التجار البيشانيين أسوة بالبنادقة • وفى هذا دليل على أهمية الدورة التجارية السابق وصفها لدى كل من الحفصيين فى تونس والمماليك فى مصر •

وبالرغم من عداء العقيدة الموحدية لليهود حسبما سبقت الاشارة ، الا أن البحث أثبت فى مجال النشاط التجارى الدور الهام الذى لعبه اليهود ولمعوا فى اتقانه كوسطاء فى علاقات الدورة التجارية تلك • وبرز من بينهم على الخصوص يهود الرهادنة فى تونس الذين سولت صلاتهم بالبلاط الحفصى الاشتغال بنوع معين من السلع على سبيل الاحتكار ، وكذلك الاشتغال بافتكاك الاسرى ، الامر الذى در عليهم أرباحا طائلة بل وشغلوا وظائف التراجمة فى عقد المعاهدات الدبلوماسية كما حدث فى عام ١٢٦٧ م بالنسبة للكاتب موشى المعين لبلدية جنوة ترجمانا باللغة العربية ؛ كما شغلوا مناصب دبلوماسية حسبما حدث سنة ١٢٩٣ م عندما تم تعيين الطبيب ابن داوود سفيرا الى أرغونة • وبناء على توسع نفوذهم التجارى شرقا وغربا ، أمتلك هؤلاء اليهود سفنا تجارية خاصة بهم أخذت تجوب شواطىء المسلمين البحرية من المغرب غربا الى المشرق شرقا محملة ببضائع تلك البلدان بالاضافة الى تجارة أوربا •

هكذا رصد البحث فى الفصل الخامس معالم الصلات الاقتصادية بين المغرب والمشرق عبر تلك الدورة التجارية وأستند فى أثباتها أساسا وكشف ما خفى من حقائقها على المراسلات الموحدية التجارية • كذلك ذهب البحث فى الفصل الاخير الى تقصى جانب آخر غامض من معالم الصلات المغربية المشرقية هو ما يتعلق بالاساس الفقهى الذى قامت عليه أصلا الدعوة الموحدية وفكرها • وان البحث فى هذا الاساس بالتفصيل مع صعوبته ، من الاهمية بمكان لتفسير أحداث الحركة التاريخية الموحدية وأحداث علاقاتها بالدولتين الايوبية والمملوكية فى المشرق • وفى هذا السبيل ذهب البحث الى تتبع أصول العقيدة الموحدية فى الفكر المغربى من ناحية والفكر المشرقى من ناحية أخرى • ومن ثم كان البحث عن هذه الاصول فى فكر

المالكية والشافعية والاشعرية والشيعة والمعتزلة والخوارج ، فضلا عن ميراث الفكر الشعبى المغربى • وتوصل البحث الى حقيقة هى أن العقيدة الموحدية قد تألفت من منظومة قامت أساسا على فكر الاشعرية وأخذت من المذاهب الاخرى بنسب متفاوتة وتأثرت بنسبة أكبر من تراث هذه المذاهب فى الفكر الشعبى المغربى •

والخلاصة ، فان دراسة موضوع العلاقات المغربية والمشرقية الاسلامية كما جاء فى هذا البحث لم تكن بالامر اليسير • فكما سبق الذكر فى مقدمة البحث ، فان المعلومات المتعلقة بهذه العلاقات قليلة للغاية ومتناثرة ومتفرقة فيما هو متوفر لدينا من المصادر القليلة عن تاريخ الموحدين • كما أن هذه المعلومات تتعلق بأحداث لا تشف عن روابط ودية بقدر ماتسفر عن أكثر من وجه للتنافس والعداء القائمين بين دولة الموحدية ودول المشرق الاسلامى المعاصرة لها • ومع ذلك ، أمكن لصاحبة البحث أن تكشف فى منهاج علمى موضوعى عن كل وجوه الحركة التاريخية المتصلة بتلك العلاقات ودية كانت أم عدائية حسبما عرضت للنواحى السياسية والحربية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفنية التى تدخل فى نطاق أحداثها •

والله ولى التوفيق

الملاحـــق

ملحـــق رقم (١)

كان من ألقاب الحفصيين لقب الخليفة ، وفيما يلى نماذج لصـــورة هذا اللقب حسبما وردت فى تلك المراسلات الواردة ضمن مجموعة أمارى عن الموحدين والحفصيين :

من نص الرسالة رقم ٢٥ ص ٧٥ — ٧٧ :

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على النبى الكريم

وعلى آلـــه وسلم تسليمـــا

« الشيخ الاجل المعظم الموقر الاسنى الارفع المكرم لنبارت غليول الفرناج •• وبعد حمد الله أهل الحمد ووليه والصلاة على نبيه وصفيـــه والرضى عن الامام المعصوم المهدى المعلوم المرتضى وعن كافة الخلفـــا الاكرمين أيمة الدين والهدا ومولا الدعا لسيدنا ومولانا أمير المـــؤمنين بالنصر الاعم الاعلا كتب محلكم ••• » •

من نص الرسالة رقم ٢٧ ، ص ٨١ — ٨٢

بسم الله الرحمـــن الـــرحيم

« الى السيد الاجل السلطان الكبير الملك الكامل ناصر الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ملك الدنيا والدين الى المعالى محمد بن أبى بكر بن أيوب ظهير أمير المؤمنين ••• فالغرض من المولا حرس الله مدته تقليد خدماه غاية الامتنان بحفظه ورعايته ••• فكلما يذكره لمولانا ••• » •

من نص الرسالة رقم ٢٨ ، ص ٨٣ — ٨٥

« للشيخ الاكرم المبجل البستات أبالد بسكونت صاحب بيش أرشده الله ووفقه شاكركم المبادر لقضاء طوايجكم عمر بن أبى بكر الصابـــونى

سلام عليكم وبعد حمد الله تعالى والصلاة على سيدنا محمد نبيه الكريم ورسوله المصطفى والرضا عن الامام المعصوم المهدى المعلوم المجتبى وعن الخلفاء الائمة الراشدين أئمة الهدى وضلة الدعا لسيدنا ومولانا الخليفة الامام العادل أمير المؤمنين أبو محمد عبد الله بن الخلفا الراشدين ٠٠ »

من نص الرسالة رقم ٢٩ ، ص ٨٦ — ٩٧ :

« ٠٠٠ هذا كتاب صلح مبارك انعقد عن اذن سيدنا ومولانا الخليفة الامام القائم بأمر الله المنصور بفضل الله أمير المؤمنين أبو يحيى زكريا بن مولانا الامير أبى العباس ابن الامرا الراشدين أيدهم الله ٠٠٠ » ٠

من نص الرسالة رقم ٣٠ ، ص ٩٨ — ١١١ :

« هذا الكتاب صلح مبارك عقده عن اذن سيدنا ومولانا الامـــام المستنصر بالله المنصور بفضل الله أمير المؤمنين أبو اسحق ابراهيم ابن سيدنا ومولانا الخليفة الامام المتوكل على الله المـؤيد بنصر الله أميـر المؤمنين المقدس المرحوم أبى يحيى أبى بكر ابن الامر الراشدين أيدهم اللـــه ٠٠٠ » ٠

من نص الرسالة رقم ٣٢ ، ص ١١٥ — ١١٨ :

« من عبد الله المتوكل على الله أمير المؤمنين أحمد بن مولانا الامير أبى عبد الله محمد بن مولانا أمير المؤمنين المتوكل على رب العالميـن أبى يحيى أبى بكر ابن الامراء الراشدين ٠٠ الى البطل الزعيم جـــوان دكوت صاحب بيش ٠٠٠ » ٠

من نص الرسالة رقم ٣٤ ، ص ١٢٣ — ١٣٦ :

« هذه نسخة نسخت من عقد الصلح بالحضرة العلية كتب بحبلى الجامع وهى غير مشهودة لما وفد على الحضرة العلية السامية السنية مدينة

تونس المحروسة حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام الملك الهمام المرتضى ايالة الاسلام ظل الله فى أرضه القايم بنقله وفرضه المتوكل على الله المؤيد بنصر الله المنصور بفضل الله الطاهر الساجد الموثر النصب فى أمره عن المسلمين والعبادة على الراحة أمير المؤمنين فخر الملوك والسلاطين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبو فارس عبد العزيز خلد الله دولتهم ... ابن سيدنا ومولانا الخليفة الامام الملك الهمام المقدس المرحوم أبى العباس أحمد ابن سيدنا المرحوم أبا عبد الله محمد ابن سيدنا ومولانا الخليفة الامام .. أمير المؤمنين المرحوم أبا يحيى أبا بكر ... » .

وواضح من نصوص الالقاب المذكورة عاليه أن لقبى أمير المؤمنين والخليفة غالبان على الالقاب المختلفة المستخدمة فى تلقيب الاميرأو السلطان الحفصى . فهل المقصود من هذا هو الجمع بين اللقب التراثى الموحدى للخلافة واللقب الدنيوى السلطانى للحكم ؟ ان الاجابة على هذا التساؤل تتأكد من ظاهرة الخلط فى نفس الالقاب التى أوردها الزركشى فى تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية حسبما تفصح عنها نماذج النصوص الاتى ذكرهـا :

نصوص من واقع تاريخ الدولتين للزركشى :

ص ٣٣ : عن المستنصر ابن أبى زكرياء : « وتسمى بالامير ولم يتسمى بأمير المؤمنين الا فى يوم الاثنين الرابع والعشرين لذى الحجة من سنة خمسين وستماية وذلك لما قدمت عليه البيعة من مكة بانشاء عبد الحق ابن سبعين وقدمت عليه بيعة الشام والاندلس وتلقب بالمستنصر » .

ص ٣٣ : « .. رأى المولى المستنصر الاقتصار على لفظ الامير

قصورا فتسمى بأمير المؤمنين وأمر أن يذكر ذلك فى الخطبة ويطبع فى الذهب » .

ص ٣٧ : « بعد وصول بيعة مكة أنشد بعض الشعراء :

أهنأ أمير المؤمنين ببيعة
وافتك بالاقبال والاسعاد
فلقد حباك بملكه رب الورى
فأتى يبشر بافتتاح بلاد
واذا أتت أم القرى منقادة
فمن المبرة طاعة الاولاد » .

ص ٣٩ : « وفى سنة ثمان وستين وستمائة قرئت بيعة صاحب المغرب الاقصى الامير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق على المولى المستنصر » .

ص ٦٦ : عن محمد أبى ضربة ابن زكرياء « .. فكانت مدة خلافته بتونس تسعة أشهر ونصف شهر » .

دولة أبى بكر يحيى بن أبراهيم

« وتولى تونس أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو بكر ابن الامير أبى زكرياء يحيى ... » .

ص ٧٩ : « وفى ليلة الاربعاء الثانية من رجب من السنة (٧٤٧ هـ) المذكورة توفى السلطان الخليفة أبو يحيى أبو بكر بتونس ... » .

ص ٧٩ .. « وولى بعده ولده الامير أبو حفص عمر .. بويع له بالخلافة يوم الاربعاء الثانى لرجب الفرد من عام سبعة وأربعين وسبعمائة ... » .

ص ٩٢ : عن دولة ابراهيم ابن أبى بكر : « وجاء بـــه الى القصر وأقعده على كرسى الخلافة » .

ص ١٠١ : « فى فاتح سنة ست وستين وسبعمائة توفى الشيخ الحاجب أبو محمد عبد الله ابن نفراجين بتونس ودفن بمدرسته الكائنة بقنطـرة ابن ساكن داخل باب السويقة وحضر دفنه المولى الخليفة أبو اسحاق حتى وضع بملحده ... » .

ص ١١٤ : « وفى يوم الاربعاء ثالث شعبان من سنة ست وتسعين وسبعمائة المذكورة توفى المولى الخليفة السلطان أبو العباس أحمد بتونس بمرض سابق .. » .

« فتولى تونس وبلادها بعده ولده مولانا أمير المؤمنين أبو فارس عبد العزيز » .

ص ١١٥ : « .. وأستقل بتونس مولانا أمير المؤمنين أبو فـارس عبد العزيز وأخذ بالحزم فى أموره ... » .

ص ١١٩ « ... وفى عام ثمانية وتسعين ازداد للمولى الخليفـــة (أبو فارس) المولى الاجل أبو عبد الله محمد المنصور .. » « ... وفى هذه السنة خرج المولى أبو العباس أحمد ابن المولى أبى عبد الله محمـد ابن المولى الخليفة أبى العباس أحمد فجاء ببيعة بجاية ... » .

ص ١٢٦ : « .. وفى عام سبعة وعشرين وثمانمائة افتتح المـولى السلطان مدينة تلمسان ... ثم ارتحل قاصدا مدينة فاس حتى لم يبـق بينه وبينها الا مسيرة يومين فوجـه لـه صاحب فاس ان البلاد بلادكم والسلطنة سلطنتكم وجميع ماتامروننا به نمتثله . فقبل السلطان أبوفارس كلامه ووجه له هدية عظيمة كافأه عليها بأكثر منها وقفل راجعا الى حضرة

تونس غانما منصورا ولحقته بيعة فاس ثم بيعة صاحب الاندلس فصارت البلاد الافريقية والمغرب الاقصى والاوسط كلها تحت نظره وفى ملكه » .

ص ١٢٨ : « وفى عشية يوم الاحد الثانى والعشرين من رجب العام المذكور (٨٣٣ هـ) مات المولى الاجل ولى عهد الخلافة أبو عبد الله محمد المنصور ابن المولى أبى فارس بوطن طرابلس وحمل الى تونس ... » .

ص ١٣١ : دولة المنتصر الحفصى حفيد أبو فارس عبد العزيز ... وبويع لولى عهده المولى السلطان أبى عبد الله محمد المنتصر ابن الامير الشهيد أبى عبد الله محمد المنصور ابن مولانا أمير المؤمنين أبى فارس عبد العزيز ابن الخلفاء الراشدين ... وأظهر موت جده الخليفة .. وعقد على بجاية لعمه المولى أبى الحسن على ابن المولى الخليفة أبى فارس عبد العزيز وصرفه اليها .. » .

عن تكرار ألقاب الخلافة ص ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٣ .

ص١٤٤ : « وفى أوائل عام أربعة وخمسين وثمانمائة أمر الخليفة ببناء خزانة الكتب بجامع الزيتونة ... وفى يوم السبت الموفى عشرين لربيع الثانى من عام خمسة وخمسين وثمانمائة عمل المولى السلطان عرس ولده المولى الهمام ولى عهد الخلافة أبى عبد الله محمد المسعود على ابنة عمه شقيق الخليفة المنتصر ... » .

وعن ذكر نفس الالقاب ، ص ١٤٨، ١٥٥، ١٥٧ .

ملحـــق رقم (٢)

رسالة من محمد (المهدى) بن تومرت الى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين

من القائم بدين الله ، العامل بسنة رسول الله ، محمد بن عبد اللـه وفقـه الله •

الى المغرور بدنياه على بن يوسف •

أما بعد ، فأنا ما وجدنا لاكثركم من عهد ، وان وجدنا أكثركم لفاسقين لم تخشوا عقوبة رب العالمين ، ولم تتفكروا فيمن حولكم من الظالميـن، الذين غووا فأصبحوا نادمين ، فتبعهم الناس أجمعون فاذا هم أخسـر الخاسرين ، وقد أمرنى الله بادحاض حجة الظالمين ، ودعاء الناس الـى اليقين ، ونسأل من الله أجر المحسنين ، لا تغتروا فان المسلمين اليكم •• فلابد أن نجيش ونفوز ••• لقتال من زاع وجنف وكفر بنعمة الله ، وقد جاء فى التنزيل انكم لستم بمؤمنين بلا الاه الا الله ، وأنها كلمة تقولونها عند الخوف والتعجب ، وتارك واحدة من السنة كتاركها كلها ، ومن أجل ذلك دماؤكم حلال ، ومالكم فىء وقد بينا لكم وأوضحنا السبيل ، (وماتغنى الايات والنذور عن قوم لا يؤمنون ؟) (وسيعلم الذين ظلمـوا أى منقلب ينقلبـون) •

والسلام على من اتبع الهدى وخشى الرحمان •

كتاب الوثائق ، رقم ٨٠ ، ص ٢٣٠ . وهى رسالة غير مؤرخة ولا يعلم بالضبط متى أرسلت الى الامير على بن يوسف المرابطى ، لكن من المرجح أنها أرسلت اليه قبل معركة البحيرة التى وقعت عام ٥٢٤ هـ .

ملحـــق رقم (٣)

رسالة من محمد (المهدى) بن تومرت الى جماعــة المرابطيــن بســـــــوس

بسم الله الرحمــن الــرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

من محمد بن عبد الله العربى القرشى الهاشمى الحسنى الفــاطمى المحمــدى :

الى الفئة الباغية ، والشرذمة الطاغية ، الذين طغوا فى البــلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، الذين استنزلهم الشيطان ، وغضب عليهم الرحمان ، جماعة المثلمين الزراجنة الساكنين بسوس دمرهم الله .

أما بعد ، وجدت أكثركم فاسقين ، وقد رأيناكم عن الحق نازحين ، ولم تذكروا عقوبة رب العالمين ، اشتكى بكم الناس فاذا أنتم أخســـــر الخاسرين ، لا محالة بأثرهم ماضين ، وقد أمر الله تعالى بادحاض صحبة الظالمين ، ودعائهم الى الصراط المستقيم ، ان الموحدين اليكم قادمون ، على الله متوكلون ، بأيديهم سيوف قاطعة ، ورماح نافذة سمهرية ودينية تقد تقلد بها الموحدون ليقطعوا بها صولتكم كما قطعت بها صولة أصحاب بدر ، يضربون بها ويطعنون فى سبيل الله ، لابد من جيش العرب يقــوده الامر الالهى ، يفوز عليكم فورة البرمة المحماة بالنار ، فويل لاهل الغرب يبدهم أشرارهم بعد ذلك ، وويل لاهل السوس وجيرانهم جزولة الكست ولمطة وأهل القبلة كافة ، وعسى أن يكون ذلك ان شاء الله فى سبع وتسعين

أو ثمان وتسعين أو تسع وتسعين ، أوله غبار ووسطه استثيار ، وآخره عبرة كبيرة فى الروم عظيمة ، وأسأل الله العظمة ، ولا يعلم الغيب الا الله، أمر الله حتم يمتثل من خالفه يقتل ، والحمد لله رب العالمين كثيرا الذى بنعمه تتم الصالحات .

والسلام عليكم سلام السنة لا سلام الرضى .

كتاب الوثائق ، رقم ٨١ ، ص ٢٣٢ . رسالة غير مؤرخة ايضا ، وفيها يشبه ابن تومرت نفسه بالرسول ، وانه سوف يقود الموحدين فى غزاته ضد المرابطين مثلما فعل الرسول فى غزوة بدر . فى هذه الرسالة وعد ووعيد وتهديد ، مدفوعا فى ذلك بشدة تمسكه بالحق وشدة ايمانه بالتوحيد ومرشدته السابقة الذكر .

ملحـــق رقم (٤)

رسالة من محمد (المهـدى) بن تومرت

من محمد بن عبد الله .... فعرفونا بشرح ذلك وايضاحه ، ليتبين الفاسد بفساده والصالح بصلاحه ، ولتصل منكم جماعة فيها شيـوخكم وأعيانكم النبهاء وفقهم الله ، ليستبين عندهم ما تضمنه كتابكم المذكور من تلك العلامات يبحثون عنها بحثا بالغا على أوفى الحالات ، ويعرفونا بذلك، فننظر فيما هنالك ..

والله يتوب على من تاب وأصلح وتبين ، وبعيننا جميعا على القيام بما وجب بفضله وكرمه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتاب الوثائق رقم ٨٢ ، ص ٢٣٣ .

يبدو من هذه الرسالة انها مرسلة الى شيوخ المصامدة ردا علىرسالتهم الى المهدى التى لم نعثر عليها ، وكما هو ملاحظ انها مبتورة فى بدايتها ونهايتها وهى كسابقاتها غير مؤرخه ، يستعلم فيها المهدى عن الذين يودون الدخـول فى طاعة الموحدين لكى يقـوم فيهم بعملية التمييز السابق ذكـرها فى صـلب الرسالة .

ملحـــق رقم (٥)

الرسالة [١] التى بعث بها يعقوب المنصور الموحدى الى طلبة مراكش فى ١٨ شعبان ٥٨٣ هـ يخبرهم فيها بفتح مدينة قابس

« ... فقد علمتم ما كان من الاشقياء الغربيين ، وأخوانهم فى الضلالة الميروقيين من التسحب على أرجاء هذه الجهات الافريقية وأكنافهـــا ، وشنهم الغارات بأوساطها وأطرافها ، وأجماعهم على اكتساح زروعها فى هذا العام وأنتسافها • وما سولته لهم أمانيهم الكواذب من قطعهابالحرابة وأضعافها ، فحال بينهم وبين ما أملوه من ذلك المنع الالاهى والصد ، ... وكان من صنع الله العجيب ، أن انتهينا اليها عند بلوغ زرعها الى حـــال الكمال والطيب ، فحماه الله من اختطافهم ، وصانه على أربابه من اعتدائهم واتلافهم ، وصيره رزقا ، واسعا لاحزابه المؤيدين ... وكان هؤلاءالاشقياء المتمردين ، والكفرة المتخلصون من ثوب الاسلام المتجردون ، والجبنـــاء المجردون بالخلاء وهم منفردون ، والاوباش المتظافرون ، على الحرابـــة المتعاقدون ، وقد استنزلهم الشيطان وأغواهم ، واستجرهم الطمع المهلك وأستهواهم ، وصور لهم أن لاقامع يقمعهم فاضلهم وأرداهم • ولما أذن الله تعالى بهلكهم ، وقضى بقهرهم على أيدى أوليائه المظفرين وعزكهم ، وأراحة هذه الجهات مما دهاها من زورهم وأفكهم ، عزم الموحـــدون ــ أعزهم الله ــ على النهوض اليهم الى محال قرارهم ، وغزوهم فى عقـــر دارهم ، وأستعانوا بالله تعالى على ابادتهم ومحوا آثارهم فنهضوا من تونس ــ كلاها الله ــ ودلائل نجحهم صادقة ، واعلاقهم بالفتح والتأييد

---

(١) ليفى بروفنسال ، رسائل موحدية ، رقم ٣٠ ، ص ١٨٠ــ١٩٠.

خافقة ... وعندما أحس الاشقياء بحركة أهل التوحيد .. تحركوا من مواضعهم مخيلين بزورهم ... ولما وصل الموحدون — أعزهم الله — الى القيروان — كلاها الله — رأوا أن يقدموا الانذار اليهم ، ويقيموا الحجة عليهم ، ويسلكوا على سنن الشرع فى تقرير الدعوة الى الله تعالى والى رسوله وبما جاء به لديهم ، فكفروا نعمة الرفق بهم وغمطوها ، ازدروا المنة بذلك عليهم وسخطوها ، وجهلوا قدر المنحة الميسرة لهم فلم يتلقوها بالقبول ويرتبطوها ، وأعتقلوا الرسول جريا على عادة كفرهم ، وكانوا عند احتلال الموحدين — أعزهم الله — بالقيروان بجهات وادى ران ثم قصدوا قفصه — أعادها الله — مخيلين باللقاء عندها ، ومشيعين أنهم يقارعون الموحدين — أعانهم الله — ان قصدوا قصدها ، فاقتفى الموحدون — أعزهم الله — آثارهم الى مقربة منها ، وأخذوا على طريق لم يخطر ببال الاشقياء السلوك عليها ، ولا اختلج فى صدورهم اهتداء اليها ، فسقط فى أيديهم وأختلت آراؤهم وأضمحلت دعاويهم ، وتوفرت على الهرب الى قابس — والشيطان يخيل لهم الاستقلال بما قبل لهم به ولا طوق ، حتى أنتهى بهم السير الى حمة مطماطة حيث حم حمامهم ، وتصرمت أيامهم ، وتزلزلت أقدامهم ، وأستصرخوا صعاليك سليم وذؤبانهم ، وكل من وافقهم على ضلالتهم من الاعراب وأعانهم من أهل الباطل وأعوانهم ، .. فلاذوا بالفرار ، واستسلموا لحكم الشعار ، وتخيلوا النجاة فى تولية الادبار . فأتبعهم أولياء الله يقتلونهم فى كل غور ونجد ، ويجدلونهم فى كل ربوة ووهدة ، ويصرعونهم حيث مايتمموا من منتحى وقصد ، ... وسيق العدد الجم من رؤوس أبطالهم وخيلهم ، والناجون منهم بجريعة الذقن وهم الاقلون يدعون بثبورهم وويلهم ، ... والطلب لا ينسى فى أثر من بقى من حثالتهم واستيصال من اغتر بجهالتهم وانخدع بسراب محالهم وزور ضلالتهم ، .. وفى صبيحة الليلة التى أذل الله فى يومها الاشقياء ، وأعز

فيها الاولياء ومنحهم الظفر عليهم والاستيلاء ، وهو يوم الخميس العاشر من شهر تاريخه ، وصل الى قابس ـ كلاها الله ـ فلحين الاطلال عليها خرج أهلها راغبين فى الامن والامان ، معلنين بكلمة التوحيد والايمان ..

وكان بقابس بنو الشقى قراقوش وأهله ؛ وجملة ما قسمه انتهابه وضمه حبله ، ومعهم جماعة من أوباشه الذين يعتمد عليهم ، ولا يثق بأهله وولده وماله الا اليهم ، فتحصنوا بقصبة بها منيعة الجوانب ، سامية المراقب ، مستعصية على المنازل لها والمحارب ، وأجمعوا على الاستماتة فيها ، فأحرقت بهم أجناد الله من جميع جهاتها ونواحيها وأستنزلوا منها على الامن فى رقابهم ، واستقصاء كافة أموالهم وأسلابهم ، واسترقاق نسائهم وأبنائهم وعيال من شهد الوقيعة من مقتولهم وهرابهم . وحصل أهل قراقوش وبنوه وماله غنما لاولياء الله تعالى ونفلا . وملكا لطائفة الحق وخولا .. » .

ملحـــق رقم (٦)

شجرة نسب الاسرة الموحديـــــة

الموحدون أربعة عشر (مدة خلافتهم ١٤٤ سنة ، ١١ شهرا ، ٢٣ يوما)

أولهم

الامام المهدى محمد بن تومرت	٥١٥ — ٥٢٤ هـ
أبو محمد بن عبد المؤمن بن على الكومى	٥٢٤ — ٥٥٨ هـ
أبنه : أبو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن	٥٥٨ — ٥٨٠ هـ
أبنه : أبو يوسف يعقـــوب المنصـــور	٥٨٠ — ٥٩٥ هـ
أبنه : أبو عبد الله محمـــد النـــاصر	٥٩٥ — ٦١٠ هـ

عم أبيه : أبو مالك عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن المعـــروف « بالمخلوع » ٦٢٠ — ٦٢١ هـ

ابن أخيه : العادل أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور المعـــروف بالمقتول ، قتل خنقا فى فسقية مـــاء ٦٢١ — ٦٢٤ هـ

أخوه : المأمون أبو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور ٦٢٤—٦٢٩ هـ

ابن أخيه : المعتصم أبو زكرياء يحيى ابن محمد الناصر بن يعقوب المنصور ٦٢٤ هـ وخلع فى الحين الى قتله « قتله عرب المعقل غدرا » .

ابن أخيه : الرشيد أبو محمد عبد الواحد بن المأمون أبى العلاء ادريس « الغريق » توفى غريقا فى جوانب القصر ٦٢٩ — ٦٤٠ هـ

أخوه : السعيد أبو الحسن على بن المأمون « قتل مع والده فى احدى معارك بنى عبد الواد » . ٦٤٠ — ٦٤٦هـ

ابن عم أبيه : المرتضى أبو حفصى عمر بن السيد أبى ابراهيم اسحاق ابن يوسف بن عبد المؤمن ٦٤٦ — ٦٦٥ هـ

ابن عم أبيه : أبو دبوس الواثق بالله أبو العلاء ادريس أبى عبدالله محمد بن السيد أبى حفص عمر بن عبد المؤمن • الذى انقرضت على يديه دولتهم • ٦٦٥ — ٦٦٧ هـ

ارجع الى : مجهول ، الحلل ، ص ١٥٣ . الزركشى ، تاريخ الدولتين ، ص ١٦٢—١٦٣ .

٢٥ — محمد المنتصر بن المنصور ابى العباس عبد العزيز (٨٣٧—٨٣٨هـ)

٢٦ — ابو عمرو عثمان بن محمد بن المنصور بن ابى فارس (٨٣٨—٨٩٢هـ)

٢٧ — ابو يحيى زكريا بن ابى عبد الله محمد المسعود بن ابى عمرو عثمان (٨٩٢ — ٨٩٨هـ)

٢٨ — محمد بن الحسن بن محمد المسعود (٨٩٨—٩٣١هـ)

٢٩ — الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد المسعود (٩٣١—٩٤٠هـ)

٣٠ — ابو العباس أحمد بن محمد بن الحسن (٩٤١—٩٧٧هـ)

٣١ — محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد المسعود (٩٧٧ — ٩٨٠هـ)

— انظر — ابن القنفذ ، الفارسية .

— انظر ايضا — عبد اوهاب بن المنصور ، قبائل المغرب ، ج١ ، ص ١٦٨

ملحـــق رقم (٨)

« من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين • أيدهم الله بنظره ، وأمدهم بمعونته — الى الطلبة والموحدين والاشياخ والكافـة بتونس — أدام الله كرامتهم بتقواه ، وأعانهم على شكر ما منحه من فضله وآتاه ، وتابع لهم السرات بترادف فتوح هذا الامر العزيز وبشراه — سلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

أما بعد فانا نحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو ، ونشكره على آلائه ونعمه ونصلى على سيدنا محمد نبيه المصطفى ورسوله • والحمد لله الذى واتر لهذه الدعوة العلية فتوحة السنية وواالاها • وقرب لها الامال القصية وأدناها وتمم عندها نعمه الجمة ووقاها ، وأجزل عطاياها من منحه الجسيمة وسناها وسهل لها مراماتها على أفضل ما يتهنأ متخير أن يكون وسناها ، وقضى أن يكون فى اعلاء كلمته ، واذلال أتباع الباطل وشيعته ، قصدهـا المحتسب ومسعاها ، وقرن بالتوفيق والتأييد ، وانتظام الاغراض على أتم مراد المريد مبادى مآخذها الميمنة وعقباها ، وجعل الى المآل الميسـر ، والمصير المضلل المدمر ، غبة مشاقيها وعداها وأثل فئتها الخاسرة بأيـدى أوليائه المريدين وأخزاها ، وأوقفها على عاقبة هلكها وردها ، وروى مـن دمائها المسالة قناها ، وحكم فى طلاها المذالة صوارمها الغضبة وظباها ، وكشف غماء شركهم وغيابة زورهم وافكهم بحقها الواضح وحلاها ،وأراح بنظرها السعيد ، ورأيها الموفق السديد ، كرب هذه البلاد وباراها ،وأبراها من عللها الفادحه وشفاها • وتقع بزلال المن وسلسال العدل والامـن ، غللها المبرحة ورواها والصلاة على محمد نبيه المصطفى ورسوله الاكـرم المجتبى ، مبصر الامة من عماها ، ومجلى غيهب الحيرة وبعاها ، ومرشد

الكافة الى سبيل هداها ، ومعرفها بخيبة من أوبق نفسه ودساها ، وفلاح من ظهرها بالطاعة وزكاها ، ومزهدها فى عاجلة قصير مداها ، قليل نداها ، نزير جناها؛ فعنصر بيد الاسترجاع والانتزاع عطاها النزر وجداهـا ، ومرغبها فى آجله لانفاد لرزقها ولا انقطاع لمحياها ، والرضا عن الامـام المعصوم ، المهدى المعلوم ، الذى أعاد ملته الحنيفية وأحياها ، وأظهرهـا وأبداها ، وأوضحها نقية بعد أن حجبها الجهل وغطاها ، وصيرها بينه جلية وقد كان الضلال أضمرها وأخفاها ، وحد الكافة على مصالح دينهـا ودنياها ، ودعاها الى ما يحييها وينجيها وهداها ، وعن صاحبه الاهدى ، وخليفته الاعدل الاتقى ، سيدنا الامام أمير المؤمنين أحق البرية بخلافته العلية وأولاها ، وممشى كلمته المهدية الى غايتها الشريفة ومنتهاها ،ومرقيها فى درج النماء والعلاء الى أبعد مرقاها ، وأصعد سماها ، ومؤدى تعليماته النافعة ، ومقالاته الناظمة للخير الجامعة ، كما سمعها ورعاها ، والمناضل بالادلة الباهرة والالسنة الباترة ، كل من عاندها وأباها ، حتى استقرت فى نصابها الاكرم ومعناها ، واستمرت على منهجها الاقوم دفعناها ، ملقيـة أزمتها الى من يحفظ حوزتها ويحمى حماها ، والدعاء لسيدنا الامام أميـر المؤمنين بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين دارت مقاماته الكريمة وعـلاها ، ومشيد أركان مآثره العميمة ومبناها ، بدوام سعوده الصاعدة وبقيادها ، وترادف الفتوح المتناسقة ، لدعوته السامية السابقة ، موفيا على أولاهـا أخراهـا .

وهذا كتابنا اليكم — عرفكم الله من فتوح الامر العزيز ونشـره ، ومحمود مقاماته فى نصرة الدين وجميل اثره ، ما يفعم أرجاءكم بطيبعونه الارج وعطره ، ويملا مسامعكم بمتعذب مسموعه الذى لا يمل وخبـره ، ويزعكم شكرا يؤدى حقوق ما أولاكم من خصائص الاستناد الى طائفته

المنصورة وأثره — من منزل الموحدين — أعزهم الله — بظاهر قفصة — فتحها الله — والذى نوصيكم به تقوى الله ، والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، وأن توقنوا بأن الله تعالى فى طى محاولات هذا الامر العزيز أسرارا يمحص بها عباده ، ويحقق رجاء من أخلص فى نيته فى التوكل عليه وأعتقاده ، وأحتسب فى طاعته ، وابتغاء مرضاته ، سعيه وجهاده ، وألقى مستسلما فى يد الرضا بما اختاره الله لامره العزيز زمامه ومقاده ، وعلم أن الله — جلت قدرته — لا يخذل أمره ولايخلف ميعاده ليزداد المؤمن ايمانا ، والراضى بالله ربا وبمحمد نبيا تسليما واذعانا ، ويثق بنجاز ما وعد من اظهار دعوته واعلاء كلمته ، ثقة لو كشف له الغطاء معها ما ازداد ايقانا ولا يطلب على ما ثبت منها فى روعته ، وانطوت عليه أمناء ضلوعه ، دليلا وبرهانا ، والله يجعلنا ممن استدام بالشكر الاتم ما أنعم به اسرارا واعلانا ، بحثه وجوده .

وكانت — وفقكم الله — هذه الحركة المباركة مبنية على التجرد منها لقمع المعتدين ووقم العابثين والمفسدين ، والقيام لله تعالى بما أوجب من حماية الحق ونصرة الدين فسنى الله سبحانه فيها من التيسيرات الخارقة للعادة ، المربية على أقصى الفتوح ونهاية الارادة ، والمكيفة على أوفى متخير من تأتى الآمال المصحبة المنقادة الجارية على ادلالها فى عموم الخير وانتظام السعادة ، وتعرف النماء فى كل حالة وظهور الزيارة ما شفى صدر المؤمنين، وصدق ظنون الموقنين ، وحقق الثقة برب العالمين ، وعرف أن العاقبة للمتقين المحسنين . ولما من الله تعالى بدمار الاعداء وتبابهم ، وقضى بعهدهم على أيدى أوليائه المؤيدين وغلابهم ، وصيرهم الى عاقبة خسرهم وسوء مآبهم ، وأراح هذه الاصقاع من اشاباتهم الخبيثة وأوباشهم ، على ما تقدم به اليكم خطابنا ، وتضمن شرحه ارسالنا

الواردون عليكم وكتابنا ، نهض الموحدين ــ أعــزهم الله ــ من قابس ــ كلأها الله ــ آخذين على صحرائها ، وقاصدين الى البلاد الجــريدية من ورائها ، على طرق لا عهد لها بالعســاكر ولا علم فيها لعامر ، ولا منفــذ أمامها لوارد ولا صادر ، بحيث منقطع التراب ، ومتصل القفــر اليباب ، ولا ماء ينبع فى الارض ولا يستقر من صوب السحاب ، وأن ســلكوها لمن العجائب العجاب ، وآياب هــذا الامر الميسر الطــلاب ، المذكر ببراهينه الواضحة لأولى الالباب ، المنصور اللواء الممكن الاسباب •

وعندما شارف الموحدون ــ أعزهم الله ــ الجهات المــذكورة جاءت الفتوح تبارى فى شدها ، وتنظم لآلىء الاقطار الجريدية فى عقدها ، وتتجز لاولياء الحق وأنصاره صادق وعدها ، واستنفذت نفــزاوه وقســطيلية ــ كلأهما الله من وبش الفتنة ووعدها • وألقت بلاد نفزاوة وتوزر وتقنيوس والحمة ونقطة بأزمتها وتطلبت من هــذه الدعوة العليــة معــلوم منتها ، واستنزلت بتحقيق توبتها متعارف رفقها ومعهود رحمتها وخفقت أنها لم تبدل دينها ولا فارقت ايمــانها ويقينها فى حالتى سكونها وفتنتها • فعمهم هذا الامر العزيز وأمنه ما مهد أرجاءهم ، وصدق فى فضل هذا الامر العظيم رجاءهم ، وعرفهم ببركة ما أمهم من الخير العميم وجاءهم • وثاروا بمن كان عندهم من الاشقياء يقتلون فريقا ويأسرون فريقا ، ويوسعونهم تشتيتا بجموعهم اللئيمة وتفريقا ، ويوردونهم بارهاق نفوسهم الخبيثة ســعيرا لا يخبو انقاده وحريقا • وكلما مر الموحدون ــ أعزهم الله ــ ببلد من هذه البلاد المذكورة ــ كلأها الله ــ أتوهم بالعدد الجم من أساراهم وبقاياهم فتقط الرقاق طلاهم ، وتنظم الصعاد كلاهم •

وكانت بتوزر منهم جملة ذميمة فادرع بعضهم جنح الظلام وفروا من الحمام الى الجمام ، وتوغلوا فى الصحراء المهلكة كشارد الانعـام ، والله يجعل لهم ولمن أمهله الاجل من حثالتهم بوادر الانتقام ، ويجـرعهم كما عود بأيدى أولياء هذا الامر العزيز أكوس الموت الزؤام ، بمنه وجوده • وتركوا أحوالهم وأموالهم ، وكافة ماتأثلوه من أثاثهم وأشقالهم ، ونفـل الموحدون عامة أسلابهم وأنفالهم ، ومسلكهم رق أهليهم وبنيهم وعيالهم ، وأجلت بهم الغير مثلاتها ، وأرتهم العبر عجائبها وآياتها وتعسن مهلهم القدر الى انتزاع أرواح الخبيثة لاجلها المكتوب وميقاتها بحول الله وقوته •

وهذه البلاد الجريدية لم يكن الوصف يعرب عن صفتها ، ولا يؤدى كنة صورتها ، ولا يطلع السامع على ما يجتليه المعاين من حقيقتها وغاية كل عبارة وان بالغت التقصير على تبيين جليتها ، فحققت المشاهدة أنها اقليم متسع الاكناف ، رحب الاوساط والاطـراف ، كثير المنافـع والمرافـق والالطاف ، جم الحدائق الغلب والجناب الالفاف ، وكل مدينة منه مستقلة بذاتها ، مكتفيئة بأقواتها مستغنية عن غيرها بما جمعت من ضروب غلاتها ، محتاج اليها لمـا يجلب منها من أنواع فوائدها وصنوف ثمراتها • وتوزر — حاطها الله — حاضرة هذا الاقليم العظيم وقطبه ، وروحه وقلبه ، ومركز دائرته الذى عليه يستدير محيطه ، وبالاستناد اليه يتمهد رحبه ، وقـد توطدت بعودته الى هذا الامر العظيم أقطاره ، وعمرت بالامنة والهـدنة دياره ، وطهرت أدناس الكفر من أرجائه ومحيت آثاره ، بحول الله قـوته، وجوده ومنته •

واستمر بالموحدين — أعزهم الله — سـيرهم المبـارك من توزر — حاطها الله — الى قفصة — أعاذها الله — فألفوا بها جملة ذميمة من أشقياء الاغزاز وأتباعهم قدران على قلوبهم هـواهم ، واسـتغواهم الشيطان

واستهواهم ، وسول لهم خعالية الغلاب خوعدهم غرورا ومناهم ، خأظهروا ما عندهم من الاقتناع ، واستشعروا شعار المصارمة والدفاع ، واغتروا بجدارتهم السامية الارتفاع ، وهيهات أن تعز هذا الامر العزيز شامخات البواذخ وطامحات القلاع معزم الموحدون — أعزهم الله — على منازلة هذا المعقل وحصره ، واستعانوا بالله تعالى على أمره ، وسألوه سبحانه معهود تسهيله كما عوده ويسره • ومرامه بحول الله أيسر محاول ، وأقرب متناول، وأدنى مروم وأسهل مزاول ، بحول الله وقوته •

وفى يوم الحلول به وصل خطاب قراقوش وأرساله راغبا فى التوحيد خاضعا مادايد الاستكانة الى هذا الامر السعيد ضارعا ، معلما أنه أن قبلت توبته ، واجيبت رغبته ، جاء الى الموحدين — اعزهم الله — مطيعا سامعا ، ووصلت فى غده أرسال ابى زيان ومخاطبته معرفا بركونه الى هضبة هذا الامر العظيم وركنه ، واعتلاقه بذمة أمانه وأمنة ، وايوائه الى كهفه الارقى وحصته ، وهو زعيم من زعماء الاغزاز يضاهى قراقوش قدره، ويقاسمه فى أمره • وكان قد انتبذ عنه أنفه من مشاركته ، وعزما على مصارمته ومتاركته ، واستبد بطرابلس — كلاها الله — ونواحيها ، واظهر دعوة التوحيد فيها،وصارت — والحمد لله — هذه البلاد كلها الى معهودها من الطاعة ، والانتقام فى سلك الجماعة ، والفيئة الى فلكه هذه الدعوة العلية وأفاقت مما خامرها من الادواء وأفلتت من سقم الفتنة المعضل ودائها العياء • وكمل المقصود لها من تمهيد الاكناف وتوطيد الارجاء ، وتأمين الجهات وسكون الدهماء،بفضل الله ذى المن والآلاء وعرفناكم — وفقكم الله — بهذه الفتوح الجمة التى عظمت قدرا ، واعجزت حمدا وشكرا ، وخرقت العوائد تسهلا ويسرا ، لتضربوا بقداح المساهمة فيها وتذيعوها فى ادانى جهاتكم

واقاصيها ، وتجدوا حمد مخولها — جلت قدرته — ومواليها ، وتقومـــوا بالواجب من شكر مسببها سبحانه ومسنيها والله تعالى يعينكممن ذلك على مايتكفل لكم بتضاعف نعمة عليكم وتواليها بمنه وجوده . لا رب غيره ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

كتب فى الثانى من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة(*)

(*) ليفى بروفنسال ، رسائل موحدية ، رقم ٣١ ، وهى من انشـــاء الكاتب أبى الفضل بن محشرة عن الامير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمـــن الى طلبة تونس فى ٢ رمضان ٥٨٣ هـ يعلمهم بدخول أهل الجريد تحت طاعـــة الموحدين وبحصار مدينة قفصة . ص ١٩١—١٩٩

ملحق رقم (٩)

رسالة من لخليفة الموحدى عمر المرتضى الى البابا اينوصانت الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبته وسلم تسليما .

والحمد لله وحده

من عبد الله عمر أمير المؤمنين بن سيدنا الامير أبى ابراهيم بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أيدهم الله تعالى بنصره ، وأمدهم بمعونته الى مطاع ملوك النصرانية ، ومعظم عظماء الامة الرومية ، وقيم الملة المسيحية، ووارث رياستها الدينية ، البابه ابنه سانس أش ، أنار الله تعالى بصيرته بتوفيقه وارشاده ، وجعل التقوى التى أمر عز وجل بها عدته لمحياه ومعاده، وأناله من سابق الهداية ما يقضى لمدى الغاية بأتم انفساحه وامتداده .

تحية كريمة نراجع بها ما تقدم من تحياتكم الواردة علينا ، ويترجم لكم أرجها عما تعتمدكم به المبار لدينا .

أما بعد ، فانا نحمد الله الذى لا اله الا هو حمد من علم أنه الرب الواحد ، الذى دلت على وحدانيته البراهين القاطعة والشواهد ، ونزهته العقول الراجحة عن أن يكون له ولد أو يدعى أنه الوالد ، تعالى الملك الرحمان عما يقول المثلث والمشبه والجاحد ، ونصلى على سيدنا محمد ورسوله المصطفى الكريم الذى وضحت به للنجاة المذاهب والمقاصد ، وخرقت له بظهور المعجزات الباهرة على يديه العوائد ، ونصر بالرعب فألقى له يد الاستسلام كل من كان يناوىء ويعاند ، وعلى آله وصحبه الكرام الذين ازدانت بهم الحاضر والمشاهد ، ووصلت قصار صوارهم فى مواقف الحروب السواعد ، وأنجزت لهم فى استيلاء الاسلام على مشارق

الارض ومغاربها المواعد ، ونسأل الله عز وجل رضاه عن الامام المعصوم ، المهدى المعلوم ، الذى جدد به لدين الله تعالى الشباب المعاود ، وأهلت بهدايته بعد اقفارها المعاهد ، وباء بالخسران المخاتل الامر والمكايد ، وعن الخلفاء الراشدين المهتدين الذين تولى منهم اتمام بدايته الامام الراشد فالراشد ، وعلت بهم لامراء الله تعالى المراقى والمصاعد ، وعن سيدنا الامير الطاهر ابى ابراهيم بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين الذى طابت منه العناصر والمحاتد ، واشتق من نبعة للخلافة قد أورق نضارة وغضارة فننها المائد ، وزهد فى الدنيا الفانية ورغب فى الاخرة الباقية فنعم الراغب والزاهد .

وهذا كتابنا كتب الله تعالى لنا حظوظا من رضاه تزكو وتتوفر ، واستعملناه واياكم بكل مانتهيأ به لاحراز الفوز لديه ونتيسر ، من حضرة مراكش حرسها الله تعالى ، ودين الله عز وجل عال مسماه ، ومصعده ، والتوحيد حال بالظهور جيده ومقلده ، والسعى معك فى ابتغاء رضا الله تعالى موقفة ومسدده ، والحمد لله رب العالمين حمد يتوالى على الالسنة تكرره وترديده ، ونستدعى به من مزيد النعماء أفضل ماوعد به تعالى من يشكره ويحمده ، والى هذا يسر الله تعالى بتوفيقه واسعادكم ، وجعل فى طاعته التى تعيد بها خلقه اصداركم وايرادكم فانه سبقت منا اليكم مراجعات عن كتبكم المبشرة الواصلة الينا ، وارسلنا نحوكم من الجواب عنها ماتممنا به بركم ووفينا ، وعرفناكم فيه أهل دينكم بالشغوف على سائر مالهم من المراتب ، فانتم عندنا لذلكم بالتكرمة الحفيلة ملحوظون ، وبالعناية الجميلة محظوظون ، ونؤكد من أسباب المواصلة لكم ماحقه أن يؤكد ، ونجدد من عهود الحفاية بكم ماشأنه أن يجدد ، ونشكر لكم ماتوالى علينا من حسن ايثاركم لجانبنا وتردد .

وفى سالف هذه الايام انصرف عن حضره الموحدين أعزهم الله البشب(١) . الذى كان قد وصل بكتابكم الينا انصرافا لم يعده مناقبه بر واكرام ، ولم يغبه فيه اعتناء به واهتمام ؛ كما أنه فى المدة التى قضى له فيها لدينا بالمقام، لم نزل نتعهده اثناءها بالاحسان والانعام ، وتحمل كتابنا اليكم تعريفا بما اختار من انصرافه ، وتوخيا فى ما أثره من ذلك لاسعافه ، وما قصر له فى حالى مقامه ورحيله ، ولا عدل به عن حفى البر وحفيله ؛ وسنى المن وجزيله ، ذهابا لتكريم اشارتكم السابقة فى حقه ؛ وسلوكا به من البر على أوضح طرقه ، والله تعالى يرشد فى كل الاحوال لازكى الاعمال لديه ، وينجد من الاقوال والافعال على ما يقرب اليه ، بمنه ، ومتى سنح لكمأسعدكم الله تعالى بتقواه أن توجهوا لهؤلاء النصارى المستخدمين ببلاد الموحدين أعزهم الله من ترونه برسم ما يصلحهم فى دينهم ، ويجريهم على معتاد قوانينهم ؛ فتخبروه من أهل العقل الراجح والسمت الحسن ، وممن يسلك فى النزاهة على واضح السنن ، وممن يتميز فى الخدمة بالمذهب المستجاد والقصد المستحسن ؛ وذلكم هو الذى اذا تعين من قبلكم مستجمعا للصفات المذكورة ، وتحليا بالحلال المشكورة ، حسن فى كل ما يستخدم أثره ، وتسنى له بذلك الخبر وأوفره وأنتم تفوزون بهذا المقصود فى ما تعلمون من اختياركم متى ظهر لكم التوجيه بهذا الرسم ، لاحد ، وتعتمدون فيه أجمل معتمد ، وشكرنا لكم على ما تذهبون اليه فى جانبنا من تمشية الاغراض ، والمذاهب ، وتختلفون فيه من المساعدة الصادرة منكم عن كرم الضرائب ، وتبادرون الى بذله من المكارم المناسبة لما لكم فى نحلتكم من اناقة المناصب ، مما نكافىء به صدق مصادقتكم ،

---

(١) رتبة رهبانية من الكلمة الاسبانية Opispo وهو الاسقف لوبى فرناندیث‌دى آين .

ونتوخى منه مالا يعدل عن موافقتكم ، جزاء لبركم بأمثاله ، واعتناء بما يقضى لولا تكم بدوامه واتصاله ، يحول الله تعالى وقوته ، وهو سبحانه بيسيرنا لنيل الحسنى والزيادة من فضله ويأخذ بنا فى ديننا ودنيانا على أقوم سبله ، ويجعلنا واياكم بما يمنحنا من التوفيق فى أول رعيل من حزب الحق وأهله ، بمنه ، وكرمه ، لا رب سواه .

وكتب فى الثامن عشر من شهر ربيع الاول عام ثمانية وأربعين وستمئة .

وكتب على ظهر هذه الرسالة عنوا للموجهة اليه :

الى مطاع ملوك النصرانية ومعظم عصماء الامة الرومية وقيم الملة المسيحية ووارث رياستها الدينية البابه ابنه سانس أش أنار الله بصيرته بالتوفيق والارشاد ومنحه بتقواه سعادة المحيا والمعاد .

التزم الخليفة الموحدى ادريس الملقب بالمأمون (ولد عام ٥٨١هـ) — تولى فى ٦٢٤هـ ، وتوفى ٦٢٩هـ (١٢٣٢م) — بن يعقوب المنصور — لفرناندو الثالث ملك قشتالة أن يؤسس كنيسة للنصارى بمدينة مراكش اذا ما أعانه بجيش يثبت به ملكه المتزعزع بالمغرب ، ووفى ادريس المأمون بهذا الشرط بعد تغلبه على ابن أخيه يحيى المعتصم بن محمد الناصر ودخوله الى مراكش منتصرا يوم (الاربعاء ١٣ فبراير ١٢٢٩م) ٢٥ ربيع الاول عام ٦٢٧هـ ، فأسس للفرسان النصارى الذين أمده بهم ملك قشتالة كنيسة لاقامة شعائر دينهم كانت فى نفس الوقت محكمة للفصل فيما يحدث بينهم من خلاف وناديا يعقدون فيه الاجتماعات ويحيكون المؤمرات .

ومع أن هذه الكنيسة التى كانت قذى فى أعين المراكشيين وسائر المغاربة هدمت بعد سنتين من بنائها اهتم الكرسى الرسولى فى روما بها

وبالجنود القشتاليين العاملين فى الجيش الموحدى ، وذهبت الامانى بهذا الكرسى الى حد الطمع فى تنصير ملوك الموحدين ورعاياهم من أهل المغرب والاندلس والصحراء ، فبدأت الاتصالات وايفاد السفارات ، وارسال القساوسة والرهبان ، وكانت بداية ذلك فى عهد البابا اينوسان الرابع (هو سينيبالدوفييتشى ، ولد بجنوة سنة ١١٩٥م ، وتقلد منصب البابوية من سنة ١٢٤٣م الى سنة ١٢٥٤م) ، الذى بعث بالقس لويس فرناندييثدى أين الى مراكش سنة ١٢٤٦م ليكون أسقفا لها، وأرسل مع القس المذكور كتابا يهنىء فيه الخليفة السعيد بانتصاراته على خصومه ويشيد بالدور الذى قام بها المرتزقة النصارى فى تحقيق هذه الانتصارات ، ويحثه على الاستكثار منهم ، وينصحه باعتناق دين النصارى لكى يفوز على حد زعمه برضا الله ويختم بركة الكرسى الرسولى ، كما كتب البابا رسائل الى أمراء سبتة وبجاية وتونس يوصيهم بتسهيل الاتصال بين النصارى المقيمين بمراكش وبين اخوانهم المقيمين بتلك المراسى .

ولم يطلع على نص الرسالة الى الآن ، ولكن لدينا تلك الرسالة الطويلة الصادرة عن الخليفة الموحدى عمر المرتضى بن اسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن بن على ، مؤرخه فى ١٨ ربيع الاول سنة ٦٤٨هـ (الاثنين ٢٠ يونيو ١٢٥٠م) حملها الاسقف لويس فرناندييثدى آين السالف الذكر الى البابا اينوسان الرابع . وقد نشرت فى مجلة هسبريس المغربية ، المجلد السادس لعام ١٩٢٦ ، صفحة ٢٧ على يد الكردينال تيسران ، والاستاذ ويبث . وهى مكتوبة بخط مغربى جميل ، فى أعلاه بين التصلية والحمد له والمتن علامة الخليفة وهى : « والحمد لله وحده » .

(وها هى نص الرسالة)

صورة رسالة الخليفة عمر المرتضى الموحدي الى البابا ايتوصانت الرابع (وجه)

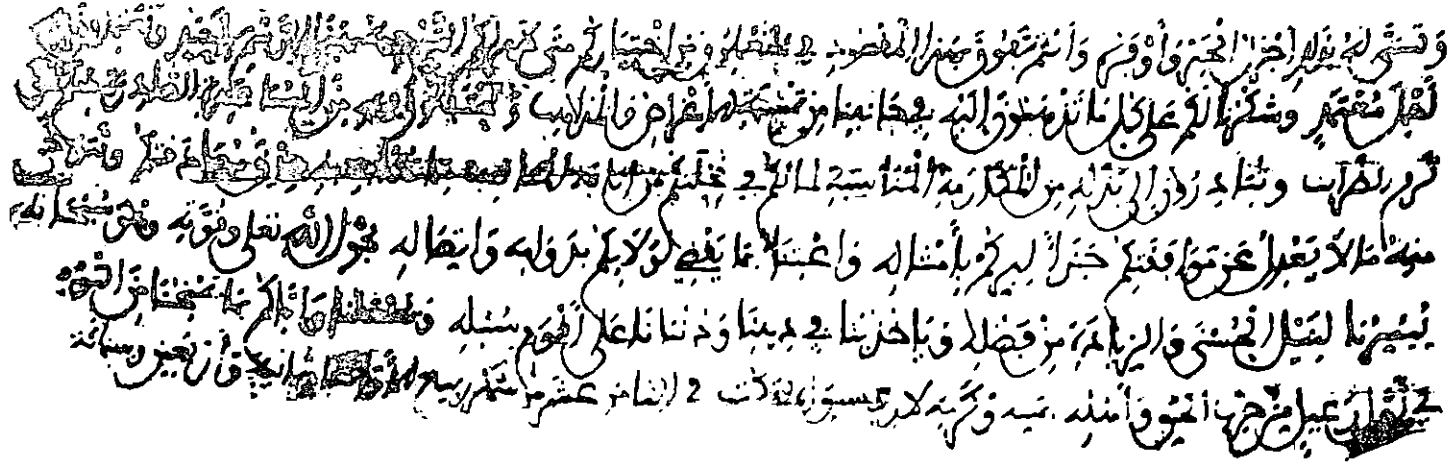

بقية رسالة الخليفة عمر المرتضى الى البابا اينوصانت الرابع (ظهر)

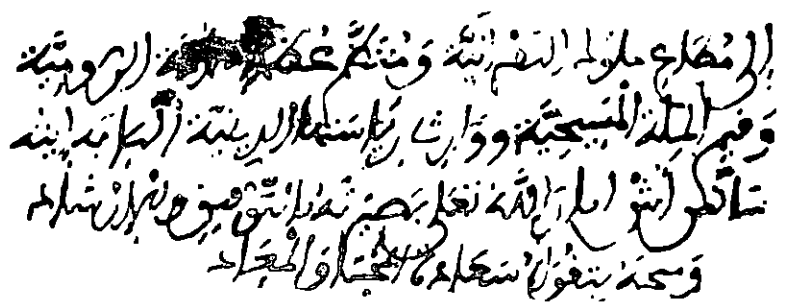

عنوان رسالة الخليفة عمر المرتضى الموحدي إلى البابا إينوصانت الرابع

ملحـــق رقـم (١٠)

من عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الحق بن أبى خرســان الى الارك الجليل الاكرم أرك بيشة والمشيخة الجلة قناسلتها وقمامصتها والخاصــة والعامة من أهلها أهدا الله توفيقهم ••كل الى السداد طريقهم •

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد حمدا لله تعــالى بما اســتدار من سوابغ نعمه والينا عليه الولاه من سوامع قسمه فان كتابنا هذا الى الارك الجليل أرك بيشة والمشيخة الجلة قناسلتها وقمامصتها والى أهل الحل منها والعقد وكافة الخاصة والعامة من أهلها بعد ونحن نهدى اليهم من السلام أعطره ونثر عليهم دره ونذرف بذكرهم مسكه وعنبره ونحضر فيهم كل يوم محضرة لمــا انعقد قديما وحديثا من الســلاف والاحــلاف منا ومنهم من أسباب المحبة ومتقدم الصحبة والمودة التى علمت وتحققت حتى يحــادث أسنى قربه ومعلم الله سبحنه أنا لنعتد بذلك ونسلك فيه أسنى المســالك وننتهى من أحكامه وسد عصامه الى أنقد الرايات وأقصى المدارك ليرتدع به العدو وتستهر معه معاقــد الهــدو ويتجدد أواصره على تكرار العشى والغدو وقد وصلنى كتابــكم الاشرف وخطابــكم المشرف من يد الشيخ الجليل الاثير الفضيل الرئيس أبى تميم ميمون بن قليلموا ••• لعمر الله عذوانهم ويدهم ولسانهم فوقفنا على الكتاب المبجل بعد الاكثار لموقعــه والايثار لموضعه والمسرة برو محامله اذ كان مصدره عن المشيخة الجــلة الذين وشجت بيننا وبينهم أواصر الايتلاف واستمرت منا ومنهم المحبــة الى سبى أصغى من السلاف وتلقينا ما خصــونا به من السـلام والدعاء الـ •••ى رحوان الله سبحنه يحدينا به على سبل القوام وقد فعل المولى

جل وعلا وأجابه وأمدنا بنصره وتمكينه وأعاننا على عدونا فى تحركه وسلوبه حين جاء الينا بحشوده المحشودة وجنوده التى كانت عندنا للحتوف معدودة وقد رفع عنا والخذلان يرافقه والنحوس توافقه والخيبة تجذبه وشواهد تلك الاحوال التى عاينها منا ترعبه فالحمد لله على ما وهبه من النصر ومنحه من الظفر الذى حاش به من القدر من جل الصدر واياه نسل دوامه ونطلب منه تمامه لا رب غيره ولا خير الاخيرة فأما ذكره المشيخة الجـلة من أن أمورهم كانت عندنا جارية على مرادهم وسارية مسرى اعتقـادهم وأنها الآن حالت عن معهودها وخرجت عن قنونها فى وصول المركب الذى وصل من الاسكندرية وما كان منا اليه بعذر يأتى هذا عند المشيخة مقبول لانا كنا بعثنا مركبا الى الغزو فزعبه الضرورة الى دخول الاسكندرية فأكرم هنالك وأجرى مجرى العناية وما يسعنا أن نقابل عن ذلك الاكرام الا بمقتضـاه فوصل ذلك المركب فزودناه وباع بمـدينة تونس حماها الله ما اتفق له من السبى الذى كان معه ورجع بأكثره وما علمنا أنه وصل بأحد من أهل بلدكم ولو علمنا ذلك لبـذلنا فيه نفايس أموالنا وأعطينا فيـه ذخايرها اكـراما للمشيخة الجلة ومعرفة لقدرهم ومحافظة على صحبتهم وقد سددنا هـذا الباب ومنعنا منه ممن يتصرف الى بلدنا برقيق أو جليل من السبى هـاذ فصل قد عقدناه مع الشيخ الرئيس أبى تميم حفظه الله • وأما أمر القبضة التىتؤخذ من التجار وجرت بها العادة فقد هوناها وأمرنا بلطفها ورشحنا لخدامنا أن كل تاجر من بلدكم متى وصل بسلعة ولم يتفق له معها أنه معانى فيها مرفوع عنه الواجب واللازم فى أمرها يعيدها الى بلده على غرضـه مراده وأمرنا ليصاير عامة تجـاركم والقيامة بهم والاهمـال بسـورهم وحرياتهم على الاكرام والرعاية والاهتمام وتفاوضنا فى ذلك مـع الشيخ

الرئيس أبى تميم سلمه الله ولم يترل وجها وقد أزحنا العلل ورجعنا فى رعاية حامهم واجراءتجار هم الواصلين من جهتهم على السمح الاول وعقدنا ذلك مع الشيخ الجليل الرئيس أبى تميم حرسه الله عقدا ثابتا محكما وشددناه شدا وثيقا مبريا وحملناه ما ينهيه الى المشيخـــة أعـــزها الله ويؤذنه اليهم بلسان المسافحة عند الاجتماع بهم والحديث معهم بالمواجهة ان شاء الله تعالى وكتبهم الاثيرة ومخاطبتهم الخطيرة تعز علينا وتكرم لدينا وهم أولى الناس بمواصلتها الينا ومتابعتها علينا مضمنة ما نسر به من صالح أحوالهم وينبهج عند سماعه من يحاج آمالهم ونختم هذا بالســـلام الاتم الازكى عليهم وعلى صغيرهم وكبيرهم ومشروفهم وشريفهم وكتب فى آخر جمدى الاولى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل •

وقد تركنا لتجاركم ما يخرجون من الشب وأعفيناهم من الواجب فيه وعقدنا مع الشيخ الجليل الرئيس أبى تميم أن كل ما سوى يقع عندنا من بلدكم نحن نشتريه ونكرمه وننفذه اليكم مكرما وكذلك أيضا عقدنا معه أن كل ما سوى يقع عندكم من أهل تونس حمـــاها الله تشـــترونه وتكرمونه وتنفذوه الينا ان شاء الله تعالى والقبضة التى تؤخذ من تجاركم هى بيـــد واحدة لا زيادة عليها تعلمناكم بذلك والسلام معاد عليكم وحسبنا الله ونعم الوكيـــل •

امارى ، وثيقة رقم ١ ، ص ١ــ٦

ملحـــق رقـم (١١)

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده

الى أمير المؤمنين أيد الله أمره وأعز نصره معظمون مقامه وملتزمون أعطايه أبلده أرك بشه وصاحب كرسقة وسردانية وقناسلتها وشيوخها وأهل الحل والعقد فيها سلام كريم حفيل على الحضرة المعظمة ورحمت الله تعالى وبركاته أما بعد فالحمد لله على العلم والايمان له أنه الحكيم العليم الاول القديم الذى لا تدرك الابصار ولا تحيـط به الاقدار ولا تقيف على كنـه عطا ... الاخطار الموجود بكل مكان الخارج عن كل زمان كان بلا ابتـداء الدايم بلا فناء نحمده جل وتعالى ونسألوا بعزته وعظامة قدرته أن يديم العزة الى أمير المؤمنين موفور الجملة متواصل النعمة منصور الريات منجح الطلبات ملا الله أيامه سعدا ونجحا وواسع جنده نصرا وفتحا بمنه وطوله وحوله وقوته كتابون اليكم أيدكم الله ونصركم من مدينة بيشة حرسها الله أنا مركب من تجارنا وأهل قطرنا وأنظارنا أوسقا بالقمح من جزيرة سقلية وأقلعوا يردون مدينة طرابلس حماها الله فأسقطهم الريح فى أحوازهـا وكان المـاء قد عجزهم فنزلوا الى البر ليستقوا فلم يتركهم أهل الموضع الا حتى بعوا منهم من القمح قليلا فلما كان فى اثر هذا وصل من مدينـة اطربلس غرابا معمرا من عند واليها ومقدمها وقبض على القـوم وأنهبهم وقبض على الذى وجد فى المركب من التجار ونجا بعض منهم من العشارى وقذفوا حتى وصلوا الى اطربلس وهم منتسوين بصاحبها فقبـض على جميعهم وانه ... جميع ما وجد عندهم من قمح ومال وهم فى سجنه وتحنى

أمارى ، وثيقة رقم ٢ ، ص ٧ــ٩

أسره حتى الان فرغبتنا جميعنا الى فضل سيدنا أمير المـؤمنين أيده الله لينفذ أمره العلى بتسريحهم بجملتهم وجميع مالهم ويصرحوا على التى هيا أحسن الى أوطانهم اذ هم وسواهم من من شملهم هذا الامر الملتزم والعهد النافذ المحكم مومنين فى أنفوسهم وأموالهم من جميع بـلاد الموحـدين لا نائبة تنوبهم ولا ضريبة تلزمهم سوى العشر المعتاد أخـذه منهم والله بعزته مجعلنا ممن وفيا بعهده وحافض على عقده بمنه وفضله •

والسلام الاعظم الاكرم على الحضرة العليا ورحمت الله تعالى •

أمير المومنين أبى يعقوب يوسف بن أمير

أمير المومنين أيد الله أمرهم وأعز نصرهم•

ملحـــق رقـــم (١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

كتاب أمان وتأكيد احسان أمر بكتبه عبد الرحمن بن سيدنا أبى حفص ابن سيدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين الى جماعة تجار نصـــارى بيش هداهم الله أمن به سربهم وأعذب شرمهم وأسر وحشتهم وسكن نافـــرهم أحمد مواردهم ومصادرهم وأجراهم على ما يعـــودوه من احسان سيدنا الخليفة الامام أمير المومنين أيدهم الله ووثيق عهـــدهم ومعهـــود رفعهم ومعروف عدلهم وجميل مذهبهم فى معاهديهم اجراء تاما عاما لفوايده أخذا بعوايده مقتديا بمقاصده بالغا فيه الى الغاية التى تؤكد لطالبه الثقـــة به والاستنامة له والسكون اليه بحول الله فليصلوا الى بلاد افريقية حاطهـــا الله محمولين على سنن الرعاية والعناية محوطين بكانف الكفاية والحماية ملحوظين بهذا المنزع الاوزع ، والمقصد الارشد والمذهب الاصـــوب ان شاء الله وحيث حلوا من معاقلها وســـواحلها وبرها وبحـــرها فى مســـالك تجاراتهم وترددهم بها ومتصرفاتهم لا يعـــترضهم فى شى منهـــا معترض ولا ينغضب لهم هذا الحبل المتين ولا ينفرض ان شاء الله تعالى فمن وقف عليهم من قبلهم من المسلمين أعزهم الله فليعاملهم بمقتضاه ولا يعدل عن منحاه ان شاء الله تعالى لا رب غيره ولا معبود سواه .

وبالله التوفيق .

---

(١) أمارى ، وثيقة رقم ٧ ، ص ٢٩ــ٣٠

ملحـــق رقم (١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد النبى وعلى آلـه وصحبـه وسلم تسليما

يقول شهداء هذا العقد الذى نعلمه ونشهد به أن المسطحان الذيـن أخذوا مركب الرايس مسعود بوادى مدينة تونس فى شهر شوال فى سنة ست وتسعين وخمسماية نعلم أن جميع من كان فى المراكب المذكـور انما هو من أهل مدينة تونس وباديتها وحجاج وصلوا من المغرب ولم يكن فيه من أهل الاسكندرية الا رجل واحد ولم يكن معه الا شىء يسير فهذا الذى نعلمه ونشهد به والذى أشتهد عندنا واستفاض أن المسطحات الذينأخذوا بمركب الرايس مسعود المذكور الاركليوسة والكرناطة ومعها زوج قطايع هما الذين أخذوا المركب المذكور اشتهر ذلك اشتهرا رفع به العلم نشهد بذلك من علمه وحققه وكتب شهادته بذلك لايها فى آخر شهر شعبن الم ... من سنة سبع وتسعين وخمسمائة واصلاح الاركليوسه على سى صحيح شهد بذلك كله من علمه وحق ... فى تاريخه المذكور محمد بن أبى القاسمى وحسن ابن على الترجمان وعثمان بن أبى بكر الترجمان وقاسم بن على الريعى وأحمد بن عبد الواحد الرساطى وعبد الكريم بن عبد المؤمناللخمى الترجمان وأحمد قطران الترجمان وعبد الرحمن بن أبى الطاهر التميمى .

أمارى ، وثيقة رقم ١٢ ، ص ٤٣—٤٤

ملحـــق رقم (١٤)

بسم الله الرحمـن الـرحيم

الشيخ الاكرم الاجل المبرور باج اكرمه الله وأعانه على مافيه الصلاح والرشاد محبكم الراغب فيكم الداعى الى الله تعالى بسلامتكم وجمـع الشمل بكم محرز القابسى الذى نعلمك به انك لما أقلعت يوم الكاينة وجرى من قدر الله تعالى ماجرى وأقلعت من غم الوادى ومعك بيرو ككله الذى كنت ضمنته لنا فى مايتين دينارا وعشرة دنانير ثمن ألف جلد وستماية جلد ضاينة ودفع لنا فى ثمنها عشرة دنانير وبقى الباقى عنده والـذى عندك يا صديقى فى خاصة نفسك ثمن تسع ماية جلد وتسعة جلود ثمنها ثلاثـة وسبعون دينارا ونصف دينار وعندك أيضا ثمن تسعة قناطير صوف وهى ثلاثون دينارا الا نصف دينار أعطيتنى خمس دنانير منها وأنت ياصديقى ذكرك ذكر خير عندنا وأنت مشكور الاحوال عند التجار وعند من سافر معك فلا تكن الا عند ما يظن بك من الخير ولولا جاهك عليه ما تركنـاه ساعة واحدة والساعة يا صديقى عندما تحب أن تسافر الى عندنا تونس فعسى تجتمع معه وتأخذ منه الذهب الذى لى المذكور فى الاعلى ولا تتركه ويكون صحبتك ان شاء الله فانك أنت المطلوب به ولا يعتل لك بعلة الديوان عندنا فقد ذكر ابن قسوم ان ما بقى لى سوى ستة دنانير فالله اللـه يا صديقى لايكن من ذلك بد فمالك موقوف ومال غيرك فعسى تصل أنت

ومن له شيء حتى يتصفونا من أنفسهم وما تحتاج تأكيد وصية على ذلك وأنت المشكور المثاب على ذلك والسلم على من اتبع الهدى ورحمت اللـــه وبركاتـــه •

الشيخ المكرم المبـــرور المبجـــل بـــاج البيشانى
كتب الله سلامته وجمع الشمـــل بـــــه

أمارى ، وثيقة رقم ١٤ ، ص ٤٨—٤٩

ملحـــق رقم (١٥)

بسم الله الرحمـــن الـــرحيم

الشيخان الاكرمان الاجلان المبروران باج وفرسطان البيشانيانكتب الله سلامتهما وجمع الشمل برؤيتهما صديقكما المحب فيكما الحريص على ما يقع بعرضكما ابرهيم بن خليفة الجلاد سلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى ورحمت الله وبركاته وبعد فانكما أقلعتما يوم الكانية وكان بذلك بقدر الله تعلى السابق فى حكمه ولم تنصفانى أنفسكما فى ثمن الجلد الذى أشتريته يا باج فى خاصة نفسك على يد عثمن الترجمان وعدده سبع ماية جلد وخمسون جلدا ضاينة بيع سبعة دنانير الماية جملته ستةوخمسون وثمانية وعشرين جلدا ضاينا وقسمها مع أصحابه بننادكرك وبين نـــاط والثمن مايتان دينارا وخمسة وعشرون دينارا على يد جوان قطران وعندك يا فرسطان من قبل البحر من متاعك ستماية جلد وخمسون جلدا ثمنها ماية دينار وستة دنانير الا درهمين بقى لنا منها أربعة وستون دينارا ودرهمين وذلك على يد طب طب وأشترى كرسى من أبراهيم المذكور على يد على بن باديس وتميم ثمن الماية جلد بستة وستين دينارا بيع ثمانية دنانير ونصف الماية ونعلمك ياكرس ، ان ابن قسوم ذكر أن مالك فى الديوان شىء وأنثمن النحاس الذى ذكرت لعثمن الترجمان أن يعطينا منه فهو باق عند المشترى ولم يعط لنا منه شىء ونعلمك ياباج أن هذا المال ماهو متعلق الابك فلاتصل الا بالتجار الذى كانوا معك حتى تنحل منهم فماأحد يعرف التجار وانمـــا يعرفون أنت فمالكم موقوف على وجه الامانه لم يغير فيه شىء فتصلـــوا

حتى تجادا الناس فيمالكم وعليكم وعثمان المهدوى ياكرس بادر اليـــه فى ثمن النحاس فانه سافر الى الاسكندرية أعلمكم ذلك والسلم على مـــن اتبع الهدى ورحمت الله وبركاته •

الشيخان الكريمان المبروران باج وفرستان كتب
الله وسلامتهمـــا وجمـــع الشمل بهمـــا

أمارى ، وثيقة رقم ١٨ ، ص ٥٧—٥٩

ملحـــق رقم (١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد النبى الكريم وعلى آلــه وصحبه وسلم أفضــل التسليم ٠

هذا كتاب صلح مبارك انعقد عن اذن سيدنا ومولانا الخليفة الامام القايم بأمر الله المنصور بفضل الله أمير المؤمنين أبو يحيى زكريــاء بن مولانا الامير أبى العباس ابن الامرا الراشدين أيدهم الله بنصره وٴمدهم بمعونته وخلد ملكهم وأبقى لكافة لمسلمين بركتهم مع جوان فجـــول والرينر دلبابينة الرسولين الوافدين على الحضرة العلية أعنى الله منارهــا وجدد أنوارها تونس حرسها الله من قبل طيش دقمط دكولى النايب عن غدريك قمط دمنط فاترة فكار كمون بيش وأشياخها وكمونها وذوى الرأى منها ومن له النظر فى مصالحها وكافة أمرها منهيين الى الحضرة العليــة أعلى الله أمرها وأجزل نصرها رغبة مرسليهما فى عقد صلح لاهــل بيش وما اليها لتجرى بمصلحة ذلك أحوالهم وتنبسط بالاسعاف به آمــالهم فأسفتهم الحضرة العلية بمطلوبهم وكتبوا لهم رضى الله عنهم هذا الصلح كتب الله لهم النصر والتمكين والفتح المبين لمدة عشرة أعوامشمسية متوالية أولها منتصف شتنبر الكاين فى شهر جمدى الاولا فى عام ثلاثة عشـــر وسبعماية على شروط يأتى ذكرها هى :

— أن يكون جميع من يصل من تجار البيشانيين وأتباعهم الىالحضرة العلية مهدها الله والى جميع بلادها الداخلين تحت طاعتها وماسيفتح بعد أن شاء الله تعالى آمنين فى أنفسهم وأموالهم وحد بلادهم المصالح عليها من بلد فى البحر الكبير يسمى القرب الى بلد يسمى حفط بال ولهم فى جزر

البحر سردانية وحصنها قشتيل دقاشتر وجزيرة قرصقة وبينوزة وآلة وكبرارة وكركونة وجلى ومنت أكرشت .

— وعلى أنه لا يصل الى بلادهم الساحلية ولا الى جزرهم المذكورة جفن حربى لضررهم من الحضرة العلية مدة هذا الصلح المذكور .

— وعلى أن يكون لهم فى كل بلد من البلاد الساحلية من البلاد الافريقية وما اليها المعلومة بنزولهم فيها للتجار فى دواوينها فندق يختصون به لتجارتهم لا يشاركهم فى سكنه غيرهم من النصرى ويمكنوا فى كل فندق من الكنيسة التى فيه ومن مدفن لموتاهم ومن فرن يختصون به على جرى العادة المتقدمة وأن لهم دخول حمام يختصون به يوما فى الجمعة .

— وأن يؤخذ منهم فيما يبيعونه من السلع العشر بكماله عند سفره من أراد السفر منهم ومن لم يسافر منهم وأطال الاقامة أخذ منه العشر عند انقضا ثلاثة أعوام من وصوله فعل ذلك لهم اجابة لرغبتهم .

— ولا يؤخذ منهم فى جميع ما يشترونه بحضرة تونس ثمانين درهم المائة دينار وأن يؤخذ منهم من الذهب والفضة المسكوكين نصف العشر عند وصوله وما يجلبونه من ذلك غير مسكوك يدفعون فيه العشر اذا باعوه واذا لم يبيعوه يكون لهم أن يردوه من غير أن يؤخذ منهم شىء اذا تحقق ذلك وأن ما يجلبونه من الدنانير والدراهم من ضرب النصرى يحرون فيه على العوايد المتقدمة .

— وأنه متى عطب لتجارهم مركب فى ساحل من السواحل الافريقية وما اليها فعلى من قرب فيه من سكان البلاد المذكورة حراستهم بغير اجارة حتى يخلصه أصحابه ولا يودون فى حمل سلعهم الا ما جرت به العادة .

— وأنهم لا يضمنون شيا كان بينهم وبين النصرى أعدايهم فى مرسى الحضرة العلية ولا يضمن لهم شىء مما كان بين أعدايهم معهم .

— وأنه متى كان خصام بين مسلم ونصرانى أو بين نصرانين أجريا فيه على الحق وأن يجروا فى اجارة الوزان الذى يزن لهم سلعهم على المعتاد .

— وأن يكونوا حيث ما حلوا من السواحل الافريقية وما اليها على الاختيار فى الاقامة لقضاء مآربهم ولا يمنعوا فى اشتراء ما يحتاجون اليه مين زاد ومرفق .

— وأن يكونوا فى سلعهم التى يصلون بها على اختيارهم فى انزالها أو ردها وان لا يحدث عليهم المشتغلون بالدواوين وغيرها فى جميع البلاد المذكورة ولا التراجمة ولا أصحاب القوارب حادثا سوا ما جرت به العادة

— وأن يكون كل تاجر منهم غير ممنوع من السفر عند تخلصه فى الحضرة العلية مهدها الله فى ساير بلادها .

— وأن يكون من يصل معهم من غيرهم فى مراكبهم من التجار له مالهم وعليه ما عليهم .

— وأن لا يمنع تجارهم من البيع فى الحلقة متى طلبوا ذلك على المعتاد

— وأن سلعهم التى يصلون بها الى مراسى السلسلة ولا يمكنهم رفعها فى الفور الى فندقهم متى ثبت ضياع شىء منها فعلى حراس الموضع المذكوره غرمه لهم وأنهم متى طلبوا المحاسبة بالدواوين وفرها الله مكنوا منها ولا يوخذ منهم الا ما جرت به العادة .

— واذا حاسب بيشانى بالديوان ودفع ما وجب عليه وأخذ بـراءة التسريح بالشهادة فلا يعقل ولا يشغب عن سفره ولا يطلب باعادة ذلـك الحساب الا أن يظهر ما يوجب ذلك بحق بين ولا يوخذ منهم الا ما جرت بـه العادة •

— وأن يكون لهم ببونة حرسها الله فندق يختصون بنزولهم فيـه لا يشاركهم فيه غيرهم من النصرى وأن يجروا فيه على عوايدهم فى حضرة تونس حرسها الله وكذلك فى قابس وصفاقس وطرابلس •

— وأن لا يوخذ منهم فيما يبيعونه من المراكب عشرا الا فيما يبيعونه ممن لا صلح لـه •

— وأن كل سلعة يودون عشرها ثم تصرف عليهم فيحتملونه الى بلد غير البلد الذى عشرت فيه لا يكون عليهم فيها عشر اذا صح ذلك •

— وكذلك اذا أخذ منهم من الذهب والفضة نصف العشر أو أرادوا أن يشتروا بثمن السلعة التى دفعوا عشرها أو بما دفعوا فيه نصف العشر فلا يلزمهم شىء فى جميع ذلك لا فى الحضرة العلية ولا فى غيرها من بلادها اذ صح ذلك •

— وأن لا يوخذ من أصحاب المراكب نصف العشر الواجب عليهم فيما يشترونه بأكرية مراكبهم •

— وأنه متى احتيج الى مركب من مراكبهم لحمل عشر أو غيـره أن يوخذ من كل ثلاثة مراكب مركب بالكراء يعينة قنصلهم •

— وأنه متى عشر أحد منهم على عدد ولم يشتر به شيا ثم أراد تركه عند أحد قبيلة فلا يمنع من ذلك اذا ثبت أنه لم يتصرف فى شىء منه •

ـ وأن ما يبيعونه فى الحلقة بالشهادة ضمان ثمنه أن غر على الديوان وما يبيعونه على أيدى التراجمة بالشهادة فضمانه أنه على التراجمة •

ـ واذا باع بيشانى سلعة أو اشتراها من أحد من المشتغلين أوالتزم شراء سلعة من سلع بلاد الحضرة العلية وكتب له فى ذلك عقد مشـــهود فلا يفسخ عليه الا أن ثبت دلسه أو ريبه أو غش •

ـ وأن غربيشانى أوغر برهن أو حق للجانب الكريم أو لاحد مـن المسلمين فلا يطلب قنصل البيشانيين ولا تجارهم بذلك ان لم يكـونـوا ضامنين له ولا يطلب بذلك الا الجانى بنفسه •

ـ واذا باع بيشانى كتانا أو قطنا أو غير ذلك من السلع الموزونـة فلا يودى فى ذلك رطلا ولا طعما للديوان ولا للتراجمة •

ـ واذا صرف بيشانى سلعة على نفسه فى الديوان فلا يودى عليها الا ترجمة واحدة •

ـ واذا وصل بيشانى بسلعة تصلح للجانب الكريم وترفع فلاتمسك الا عشرة أيام ، ويكون دفع ثمنها فى الامد المذكور أو ترد على صاحبها •

ـ وأن يكون لقناصلتهم يوم فى الشهر يصلون فيه الى المقام الاعلى أدام الله رفعتـه •

ـ وأن يكون أيضا لقناصلتهم اجتماع مع مشتغل كل بلد ينزلون فيه يومـا فى الشهر •

ـ وأنه متى خرج أحد من عماله البيشانيين أو جزائرهم المذكـورة وأضر باحد من أهل البلاد الافريقية أو من انضاف اليها فعلى حـــاكمهم

وأشياخهم وقناصلتهم الانصاف من ذلك وأخذ الجانبين وقتلهم والتمكين من أموالهم •

— وعلى أنهم لا يشترون ممن يقطع على المسلمين شيا من سلع المسلمين ولا من أسراهم ومتى وجد بايديهم شيء من سلع المسلمين أخذت لهم أو أسراهم أخذ ذلك منهم بغير عوض •

— وأنهم متى طرأ بينهم خصام فلا تحكم بينهم الا قناصلتهم •

— وأنه لا يوخذ منهم فى جميع محاولتهم فى الديوان الا ما جريت به العادة •

— وأن تكتب من هذا الكتاب نسخة لكل بلد من بلاد الحضرة العلية الذى يتجرون فيه •

— ولا يمنع تجارهم من اشتراء السلع ممن يريدون الاشتراء منه •

— وأن لا يمنع بيشانى من اشتراء سلعة بسبب جنوى أو غير من النصرى •

— وأنه اذا اشترا أحد منهم سلعة من السلع المحاولات لا يفسخها أحد عليه لا المشتغل الذى باعها ولا الذى يأتى بعده اذا لم يكن فى البيع ريبة ولا دلسه ولم يكتم من الثمن المذكور شيئا •

— وأن جميع ما يشترا بالشهادة بالديوان للجانب العلى خلده الله ويكون بيد البايع عقد بالشهادة بذلك يكون الثمن لازما للديوان من غيرأن يطلب البايع بزيادة بيان •

— واذا كان لاحد منهم حق فى الديوان وعليه حق فيه وبيده ذلك تنفيذ حوسب مما له بما عليه •

— وكذلك اذا ترتب على أحد منهم حق فى موضع من مواضع المحاولات المباركة وترتب له حق فى الموضع المذكور وكان بيده بذلك تنفيذ أقتطع ماله مما عليه •

— وأن يحملوا فى جميع أمورهم على البر والاكرام كغيرهم مـــن النصرى المصطلح معهم •

— وعلى أن يكون كل من دخل من المسلمين الذين تحت طاعة الحضرة العلية بلدا من بلاد البيشانيين أو جزرهم أو مرسى من مراسيهم هو آمن بأمان الله تعالى فى نفسه وماله •

فشهد على اشهاد الرسولين المذكورين جوان فجول والرنيردلباية المذكورين فى عقدهما هذا الصلح عن مرسليهما المذكورين وهما بحال الصحة والتطوع والجواز بترجمة من جرت عادته بذلك من المسلمين وحضر لعقد هذا الصلح من تجار البيشانيين القنصل كان بنجال بركان وجوان كريـــة ولام اسكر سلب لطار وكلوش دلنيال وجيك الياط وجان بنكت وجول جنكين وبان سنيلت وعلى اشهاد من تنفذ الاوامر العلية الآن على يديه بالبـــاب الكريم أسماه الله وأسعده وحفظه باقضـــا ذلك وذلك بتاريخ الحـــادى والعشرين من جمادى الاولا من عام ثلاثة عشر وسبعماية وهو الموافـــق لليوم الرابع عشر من شهر شتنبر وبذلك ذلك فى أخر شه •• جمدى •• الحق عصيبى وأحمد بن اسمعيل بن أحمد الريمى •

اماری ، وثيقة رقم ٢٩ ، ص ٨٦—٩٧

دولة مالى

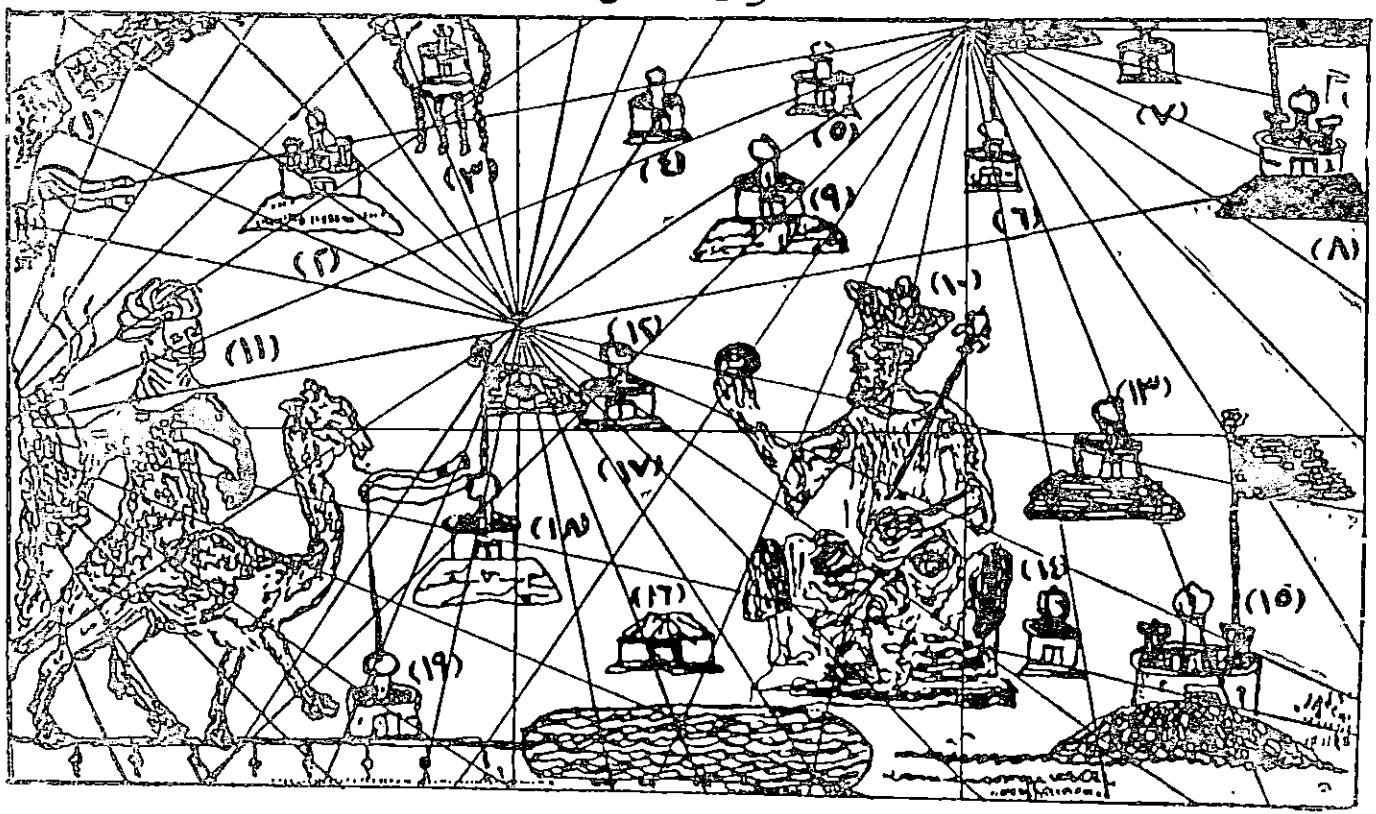

بيانـــات الخريطـــة :

١ ــ وادى درعة الذى يخترق جبال أطلس ، وهو أحد طرق القوافل الى السودان •

٢ ــ مدينة تاكـــورام

٣ ــ مدينة سجلماسة

٤ ــ مدينة تابلبرت

٥ ــ مدينة أنزيـــزا

٦ ــ مدينة توغـــــرت

٧ ــ مدينة بسكـــــرة

٨ ــ مدينة تـــــوزور

٩ ــ مدينة تـــــوات

١٠ ــ صورة السلطان كنكن موس ، ويبدو وفى يده قطعة من الذهب يقدمها للوافد عليه فوق جمله ــ وتوجد عبارة مكتوبة على الخريطة خلف صورة السلطان موسى نصها : « يدعى هذا الزنجى ، موس مالى ، سيد زنوج غينيا ، وهو أثرى وأعظم ملك فى بلاد السودان ، لوفرة الذهب فى بـــلاده » •

١١ ــ أحد التجار من الملثمين العاملين فى التجارة بين بلاد السودان وبلاد المغرب ، وأمام صورته على الخريطة عبارة نصها : « ينتشر الملثمون فى جميع أرجاء المنطقة ، وهم الذين يضعون اللثام على أفواههم ، فلا ترى سوى أعينهم • وهم يعيشون فى خيام وعماد قوافلهم الجمال ، وفى هذه

المنطقة يوجد الحيوان المعروف باسم « اللمط » [1] ((Lemp ومن جلده تصنع الدروع المتينة .

١٢ ــ مدينة تغـــازة

١٣ ــ مدينة بـــودا

١٤ ــ مدينة جـــاو [1]

١٥ ــ مدينة ميمـــة

١٦ ــ مدينـــة تنبكت

١٧ ــ غينيـــه

١٨ ــ الســـودان

١٩ ــ مدينة مـــالى

---

(١) هذا الحيوان يشبه الثور

(١) جاو عاصمة دولة سنغى الاسلامية ، وتقع على النيجر ، وتعرف فى الكتب العربية باسماء مختلفة منها : كانح ، كوغا ، كوكو ، كركر الخ .. ابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ، ص ٤٣٤ ، ج ٦ ، ص ٢٠٠ .

ظهر الدرهم

وجه الدرهم

ظهر الدينار

وجه الدينار

ملحـــق رقم (١٩)

بسم الله الرحمـن الـرحيم

رسم الامر الشريف العالى المولوى قانصوه

السلطان الملكى الاشرف السيفى أعلاه الله تعالى وشرفه وأنفـــذه وصرفـــه أن سطر هذا المرسوم الشريف الى كل وافق عليه وناظر اليه فى الجنابات العالية والمجالس السامية النواب والحجاب والمباشرين والنظار والمتكلمين وأرباب الوظايف وأصحاب الادراك بثغر الاسكندريةالمحروسة وغيرها من الثغور الاسلامية ، والسواحل بممالكنا الشريفة ضاعف اللـــه تعالى نعمه ، الجنابات العالية وأعز المجالس السامية يتضمن اعلامهم ان قد برزت مراسيمنا الشريفة لطايفة الفرنتين من الافرنج بالامان والاطمان والاخذ والعطا والبيـــع والشرى وأن يحضروا الى الثغر الاسكندريى المحروس والى غيره من الثغور الاسلامية ، والى السواحل بممالكنـــا الشريفة ببضايع متجر ولهم الامان والاطمان والبيع والشرى والاخـــذ والعطا وعليهم أمان الله تعالى وأمانتا الشريف ، فيتقدم كل واقف عليهمن الجنابات والمجالس بالوصية التامة لهم وأكرامهم وأحترامهم ومعـــاملتهم بالعدل • ومنع من يتعرض لهم بسوء أو ضرر ، ولهم عادة التجار مـــن الافرنج الذين يحضروا الى ثغر الاسكندرية ولهم الامان والاطمـــان فى البيع والشرى والاخذ والعطا ، وأنهم يحضروا طيبين القلب منشرحيـــن الصدر آمنين على أنفسهم وأموالهم ومراكبهم ، واذا حضروا فى غيـــر مراكب طايفتهم يكون لهم الامان فى البر والبحر • وأن يعاملوا بالعـــدل والا يحدث حادث ولا مظلم وأن لا يوزنوا الا أسوة التجار البنادقة وهم من تجار الافرنج الذين يحضروا الى الثغر الاسكندرى فى البحر ، وذلك

على حكم ما بيدهم من المراسيم الشريفة فى أيام الملك الاشرف العبد الشهيد قايتباى سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان على يد قاصدهم الوزير دالصتوخا مع الوصية لهم • ومنع من يتعرض لهم بسوء أو تضرر ومن هلك من طايفة الفرنتيين عن وصية فليعمل بها من غير أن يتعرض أحد لوصيته ، واذا انكسر مركب من مراكب الفرنتيين بممالكنا الشريفة فلاأحد يتعرض الى البضاعة ولا الى شىء منهم سوى السلاح على ما جرت به العادة من تقادم السنين • واذا حضر من بلادهم قنصل فلا أحد يحكم بين طائفة الفرنتيين الا القنصل ••• قولا واحد وأمرا حازما ومراسيمنا الشريفة تؤكد عليهم فى ذلك غاية التأكيد فيحيط علمهم بذلك والله تعالى الموفق بمنه وكرمه •

ان شاء الله تعالى •

فى ثامن عشر القعدة الحرام سنة احد عشر وتسعماية [1] •

---

(١) ميشيل أمارى ، رسالة رقم ٤٢ ، مؤرخة بتاريخ ١٨ ذو القعدة ٩١١ هـ / ١٢ أبريل ١٥٠٦ م ، قانصوه الفورى ، ص ٢١٤—٢١٧ .

المصادر والمراجـــع

المصادر والمراجـــع

أولا ــ المصادر العربية المخطوطة :

١ ــ ابن البيذق (أبو بكر بن على الصنهاجى) :

« أقوال المهدى بن تومرت فى علم الكلام » نسخة حديثة محفوظة بدار الوثائق بالرباط ، ميكروفيلم رقم ١٠٥١ •

٢ ــ أمـــارى (ميشيل) :

مجموعة رسائل تحت عنوان :

Documenti Degli Archivi R· Toscani Pubblicati par Cura Dellal Sopr-intendenza Generale Agli Archivi Medesimi,

دار الوثائق بالرباط تحت رقم $\frac{\text{A0}\ 4\ 583}{1\ \text{dis}}$

٣ ــ النويرى السكندرى (محمد بن قاسم) :

« الالمام بما جرت به الاحكام المقضية فى وقعة الاسكندرية » نسخة مصورة من مخطوطة دار الكتب المصرية المقيدة برقم ١٤٤٩ تاريخ،محفوظة بمكتبة كلية الاداب ، بجامعة الاسكندرية برقم ٧٣٧ م • ونسخة أخرى مصورة من مخطوطة الهند،محفوظة بمكتبة كلية الاداب جامعةالاسكندرية برقم ٧٣٨ م • ونسخة ثالثة مصورة من مخطوطة برلين ؛ محفوظة أيضا بمكتبة كلية الاداب جامعة الاسكندرية ، برقم ٦٦٧ م •

ثانيا ــ المصادر العربية المطبوعة :

٤ ــ ابن الابار (أبو عبد الله محمد ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) :

« الحلة السيراء » تحقيق د • حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ •

٥ — ..... :

« التكملة لكتاب الصلة » نشر كوديرا ، ج ٥—٦ ، ليدن ١٨٨٧ م .

٦ — ابن الاثير (على بن أحمد بن أبى الكرم ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م):

« الكامل فى التاريخ » ، طبعة مصر ، ١٣٥٦ م .

٧ — ابن الاحمر (أبو الوليد اسماعيل) :

« روضة النسرين فى دولة بنن مرين » ، الرباط ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .

٨ — الادريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن الشريف الادريسى ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م) :

« صفة المغرب والاندلس مأخوذة عن كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ، نشره دوزى ودى غويه ، ليدن ١٨٦٦ ، طبعة الجزائر ١٩٥٧ . ونسخة بعنوان صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، ليدن ، ١٨٩٤ م .

٩ — الاصفهانى (العمـــاد) :

« غريدة القصر وجريدة العصر » ، قسم شعراء المغرب ، ج ١ تحقيق: محمد المرزوقى ، محمد العروسى المطوى ، الجيلانى بن الحـــاج يحيى ، تونس ١٩٧٣ ، النشرة الثانية .

١٠ — ابن اياس الحنفى (محمد بن أحمد) :

« بدائع الزهور فى وقائع الدهور » ج ٢ هـ أولى ١٣١١ هـ ، ج ٣ ، ١٣٨٣ / ١٩٦٣ م القاهرة ، ج ٤ مطبعة الدولة باستانبول ، ١٩٣١ م . (تحقيق : محمد مصطفى) .

١١ — ابن بشكـــوال (خلف بـــن عبد الملك بن مسعود ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) :

« الصلة فى تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم » نشر عزت العطار ١٩٥٥ــ٥٠ .

١٢ ــ البكرى (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٦ هـ / ١٠٩٤ م)

« المسالك والممالك ــ الجزء الخاص بشمال افريقيا » ط . دى سلان ١٨٥٧ .

١٣ ــ .....

« المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب » بــاريس ١٩١١ . ونشره دى سلان De Ssane بعنوان :

Description de L'Afrique Septentrionale

الجزائر ١٩١١ .

١٤ ــ البلخى (أبو القاسم عبد الله أحمد بن محمود ت ٣١٩ هـ) :

مقالات اسلامية فى كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، تحقيق : فؤاد سيد ، تونس ، ١٩٧٤ .

١٥ ــ البيذق (أبو بكر بن على الصنهاجى) :

« أخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين » ، تحقيق عبــد الوهاب بن منصور ، الرباط ، ١٩٧١ .

١٦ ــ .....

« المقتبس من كتاب الانساب فى معرفة الاصحاب » ، تحقيق ، عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، ١٩٧١ .

١٧ ــ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف) :

« النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ج ١ ــ ج ١٢ ، دار الكتب المصرية ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م ، والجزء الثالث من طبعة وليم بوبر ، كاليفورنيا ١٩٣٢ م .

١٨ ــ الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر) :

البيان والتبيين ، ج ١ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة،١٩٤٨م

١٩ ــ الجزنائى (أبو الحسن على) :

« كتاب زهرة الآس فى بناء مدينة فاس » ، نشره الفرد بل ، الجزائر ١٩٢٢ م.

٢٠ ــ جولد تسيهير :

« العقيدة والشريعة فى الاسلام » (الترجمة العربية) ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

٢١ ــ ابن الجوزى (عبد الرحمن بن على ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) :

« المنتظم فى تاريخ الملوك والامم » ١٠ اجزاء المطبوع منه ابتداء من القسم الثانى من الجزء الخامس الى نهاية العاشر . بعناية د . سالم الكرنكورى ولجنة خاصة فى دائرة المعارف العثمانية . حيدر أباد ، الدكن ١٣٥٧ هـ ــ ١٣٥٩ هـ .

٢٢ ــ ابن حبيب (عبد الملك) :

« أخبار فى فتح الاندلس » نشرها الدكتور محمود على مكى فى مقالـه :

Egipto y Los Origines de la Historiografia Arabigo-Esponola

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، المجلد الخامس ، ١٩٥٧ .

٢٣ ــ ابن حزم الظاهرى (أبو على بن أحمد ، ت ٤٥٦هـ ــ ١٠٦٤م):

« الفصل فى الملل والاهواء والنحل » ، ط مصر ١٣١٧هـ .

٢٤ ــ ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن على البغدادى النصيبى ت ٣٨٠هـ ــ ٩٩٠م) :

« صورة الارض » ، ط دى سلان ، الجزائر ١٨٥٧م .

٢٥ — ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) :

« المسالك والممالك » ، ط . دوزى ، ليدن ، ١٨٨٩م .

٢٦ — الخزرجى (على بن الحسن) :

« العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية » ، تحقيق : محمد بسيونى عسل ، القاهرة ج١ ، ١٩١١ ، ج٢ ، ١٩١٤م .

٢٧ — الخشنى (محمد بن الحارث بن أسد ، ت ٣٦٦هـ) :

« طبقات علماء افريقية » القاهرة ، ١٣٧٢هـ .

٢٨ — الخشنى (أبو عبد الله محمد) :

« قضاة قرطبة وعلماء افريقية » (من تراث الاسلام) ، تحقيق :عزت العطار الحسنى ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ .

٢٩ — ابن الخطيب (محمد لسان الدين ، ٧٧٦هـ — ١٣٧٤م) :

« الاحاطة فى أخبار غرناطة » مجلد ١ ، تحقيق : محمد عبد الله عنان، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٥ .

٣٠ — .....

« أعلام الاعلام فيمن بويع قبل الاسلام من ملوك الاسلام » (القسم الخاص بالاندلس) تحقيق ليفى بروفنسال ، طبعة بيروت ، ١٩٥٦ (والقسم الخاص بالمغرب) تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى والاستاذ محمد ابراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤م .

٣١ — ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرمى . ت٨٠٨هـ — ١٤٠٥م) :

« كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر » ج٦٥٣ ، القاهرة ١٢٨٤هـ . بيروت ١٩٥٩ — ١٩٦١ . دى سلان الجزائر ١٨٨١م .

٣٢ ــ .....

« المقدمة » القاهرة ، ١٩٥١ ، ط ، بيروت ، ١٩٥٠م .

٣٣ ــ .....

« التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا » تحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة ١٩٥١ .

٣٤ ــ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، ٦٨١هـ ــ ١٢٨٢م) :

« وفيات الاعيان وأنباء الزمان » ٦ أجزاء ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٦٩هـ / ١٩٤٨ــ١٩٤٩م وأيضا طبعة بيروت ج٣ ١٩٧٠ ، ج٥ ١٩٧٧ ، ج٨ ١٩٧٢م .

٣٥ ــ الدباغ (عبد الرحمن محمد بن عبد الله الانصارى ، ت٦٩٦هـ):

« معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان » ج ١ــ٢ ، تونس ،١٣٢٠هـ.

٣٦ ــ ابن أبى دينار (أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى) :

« المؤنس فى أخبار افريقية وتونس » تحقيق : محمد شمام ، الطبعة الثالثة ، تونس ١٣٨٧هـ .

٣٧ ــ الرقيق القيروانى (من ق ٥هـ ــ ٤٧٠هـ) :

« تاريخ افريقية والمغرب » ــ قطعة تبدأ من أواسط القرن الاول الى أواخر القرن الثانى الهجرى . تحقيق : المنجى الكعبى ، تونس١٩٦٧م.

٣٨ ــ ابن أبى زرع (على الفاسى) :

« كتاب الانيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧٣م .

٣٩ ــ الزركشى (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) :

« تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية » ، تحقيق ، محمد ماضور ، تونس ١٩٦٦م .

٤٠ ــ السراج (محمد بن محمد الاندلسى الوزير) :

« الحلل السندسية فى الاخبار الاندلسية » تحقيق ، محمد الحبيب الهيلة ، ج١ ، تونس ١٩٧٠م .

٤١ ــ ابن سعيد المغربى (على بن موسى) :

« المغرب فى حلى المغرب » ج١ ، تحقيق : د. شوقى ضيف ، القاهرة، ١٩٥٣م .

٤٢ ــ السلاوى (أحمد بن خالد الناصرى) :

« الاستقصا لدول المغرب الاقصى » تحقيق وتعليق ولدى المؤلف : جعفر ومحمد الناصرى . الدار البيضاء ، ١٩٥٤م .

٤٣ ــ السيوطى (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر ٩١١هـ ــ ١٥٠٥م) :

« بغية النحاة فى طبقات اللغويين والنحاة » تصحيح : محمد أمين ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ .

٤٤ ــ أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى الدمشقى ٦٦٥هـ ــ ١٩٤٧م) :

« كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية » تحقيق : الاستاذ محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

٤٥ ــ الشهرستانى (محمد بن عبد الكريم ــ ت ٥٤٨هـ) :

« الملل والنحل » القاهرة ١٩٦٥م .

٤٦ ــ ابن صاحب الصلاة (عبد الملك ــ ٥٩٤هـ ــ ١١٩٨م) :

« تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين » • السفر الثانى • تحقيق : الاستاذ عبد الهادى التازى ، بيروت ١٩٦٤م •

٤٧ ــ الاصطخرى (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد ، كان حيا فى النصف الاول من القرن ٤هـ) :

« المسالك والممالك » • تحقيق : الاستاذ محمد جابر عبد العال الحسين ، القاهرة ، ١٩٦١م •

١٩٣٩م •

٤٨ ــ العباس بن ابراهيم :

« الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام » ج٣ ، الرباط ،

٤٩ ــ ابن عبد الحق (صفى الدين عبد المؤمن البغدادى ٧٣٩هـ ــ ١٣٠٨م) :

« مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع » • تحقيق : الاستاذ على محمد البجاوى ، القاهرة ، ١٩٥٤م •

٥٠ ــ ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله ت ٢٧٦هـ ــ ٨٨٩م) :

« فتوح مصر والمغرب » تحقيق الاستاذ عبد المنعم عامر ، القاهرة ، ١٩٦١م ، مطبعة Albert Gateau بعنوان :

Conquête de L'Afrique de Nord et L'Espagne

الجزائر ١٩٤٧ •

٥١ ــ ابن عذارى المراكشى (٧١٢هـ ــ ١٣١٢م) :

« البيان المغرب فى أخبار المغرب » ، ٤ أجزاء ، بيروت ، ١٩٥٠ ، ج٣ تطوان ١٩٦٠م •

٥٢ — العذرى (ت ٤٧٨هـ — ٩٨٨م) :

« ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى الممالك » ، نشر عبد العزيز الاهوانى ، مدريد ١٩٦٥م .

٥٥٣ — الغبرينى (ت ٧٠٤هـ — ١٣٠٤م) :

« عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية » تحقيق الاستاذ : رابح أحمد بونار ، الجزائر ، ١٣٨٩هـ — ١٩٧٠م .

٥٤ — عمر بن شاهنشاه الايوبى (محمد بن تقى الدين ٥٦٧—٦١٧هـ) صاحب حماه :

« مضمار الحقائق وسر الخلائق » . تحقيق د. حسن حبش القاهرة، ١٩٦٨م .

٥٥ — الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد ٥٠٥هـ — ١١١١م) :

« كتاب فضائح الباطنية للرد عليهم » نشر وتحقيق : د. عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

٥٦ — ابن القطان (أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك الكتامى الفاسى) :

« جزء من كتاب نظم الجمان » تحقيق الدكتور محمود على مكى ، منشورات كلية الاداب ، جامعة محمد الخامس بالرباط تطوان ، ١٩٦٤م .

٥٧ — القلقشندى (أبو العباس أحمد ٨٢١هـ — ١٤١٨م) :

« صبح الاعشى فى صناعة الانشا » دار الكتب ، ١٣٣٢هـ .

٥٨ — ابن القنفذ القسنطينى (أبو العباس أحمد بن حسين بن على بن الخطيب ، ت ٨١٠هـ — ١٤٠٧م) :

« الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية » تحقيق وتقديم : محمد

الشاذلى النيفر وعبد المجيد التركى ، تونس ١٩٦٨م •

٥٩ ــ ابن كثير الدمشقى (الحافظ عماد الدين أبو الفــدا اسماعيل ت ٧٧٤هـ ــ ١٣٧٢م) :

« البداية والنهاية فى التاريخ » ، ج١٢ ، مصر ، ١٣٤٨هـ •

٦٠ ــ المالكى (أبو بكر عبد الله بن أبى عبد الله ت فى نهاية القــرن الرابع الهجرى) :

« كتاب رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وافريقية » ج١ ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥١م •

٦١ ــ المالكى (ابن الصغير ــ القرن ٣هـ ــ ٩م) :

« أخبار الائمة الرستميين » (ألفه فى تاهرت حوالى ٢٩٠هـ) نشر : موتلنسكى ، أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين ، باريس ١٩٠٨م •

٦٢ ــ مجهــــول :

« كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار » لكاتب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى ، تحقيق الدكتور سعد زغلول عبــد الحميــد ، الاسكندرية ، ١٩٥٨م •

٦٣ ــ مجهــــول :

« تاريخ الدولة السعدية الدرعية التكمدارتية » • نشر جورج كولان، الرباط ، ١٩٣٤م •

٦٤ ــ مجهــــول :

« كتاب الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية » نشره وصححه : د• س علوش • مطبوعات معهــد العلوم العليا المغــربية ، ج٦ ، الرباط ١٩٣٦ • وتحقيق : الدكتور سهيل زكار والاســتاذ عبــد القادر زمامة ، الرباط ١٩٧٩م •

٦٥ — ابن مرزوق (أبو والحسن الخطيب) :

نخبة من كتاب المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا أبى الحسن الخطيب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٢٥م .

٦٦ — المراكشى (محيى الدين عبد الواحد ت ٦٢٠هـ — ١٢٢٤م) :

« المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » ، تقديم : محمد الفاسى المغرب، سلا ١٣٥٧هـ — ١٩٣٨م .

٦٧ — المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين ٣٤٦هـ — ١٩٥٧م) :

« كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر » تحقيق الاستاذ محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

٦٨ — المقدسى (شمس الدين مجير الدين العيلمى الحنبلى ، ت ٩٢٧هـ — ١٥٢١م) :

« أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » طبعة دى خونيه ، ليدن ١٩٠٦م .

٦٩ — المقرى التلمسانى (شهاب الدين أحمد بن محمد ، ت ١٠٤١هـ — ١٦٣١م) :

« نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب » ، عشرة أجزاء ، القاهرة، ١٩٤٩م . دار الكتاب العربى ، بيروت .

٧٠ — .....

« أزهار الرياض فى أخبار عياض » . تحقيق الاستاذ مصطفى السقا ، وابراهيم الابيارى ، وعبد الحفيظ شلبى ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ — ١٩٣٩م .

٧١ — المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ، ت٨٤٥هـ — ١٤٤١م) :

« المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار » ٣ أجـزاء ، القاهـرة ، ١٣٢٤هـ .

٧٢ ـ .....

« السلوك فى معرفة دول الملوك » نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٣٦ م

٧٣ ـ .....

« الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك » ، نشر الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٧٤ ـ الملطى (محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ت ٣٧٧ هـ) :

« التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع » القاهرة ، ١٩٤٩ م .

٧٥ ـ ابن مماتى (الاسعـد) :

« كتاب قوانين الدواوين » جمعه وحققه الدكتور عزيز سوريـال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٣ م .

٧٦ ـ المكناسى (أحمد بن القاضى من ٩٦٠ـ١٠٢٥ هـ) :

« جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس » ، نشر دار المنصور ، الرباط ١٩٧٣ .

٧٧ ـ ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ٦٩٧ هـ ـ ١٢٩٧ م) :

« مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » نشر الدكتور جمـال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ١٩٦٠ م .

٧٨ ـ ياقوت الحموى (شهاب الدين الرومى ٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٩ م) :

« معجم الادباء » ج ٢ ، القاهرة ، ١٩١١ م .

ثالثا ـ المراجـع العربية الحديثـة :

٧٩ ـ أحمد (مصطفى أبو ضيف) :

« القبائل العربية فى المغرب فى عصرى الموحدين والمرينيين » رسالة ماجستير ، الاسكندرية ، ١٩٧٥ م .

٨٠ ــ أسماعيل (الدكتور محمود) :

« المالكيون والشيعة بافريقية ابان قيام الدولة الفاطمية » .

٨١ ــ .....

« المعتزلة فى المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية » الرباط ، ١٩٧٦ م .

٨٢ ــ .....

« الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى » الداو البيضاء ، ١٩٦٧ م .

٨٣ ــ اسماعيل سرهنك باشا :

« حقائق الاخبار عن دولة البحار ، جزءان »

٨٤ ــ أشباخ (يوسف) :

« تاريخ الاندلس فى عصر المرابطين والموحدين » جزءان ، تحقيق الاستاذ عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

٨٥ ــ بدوى (الدكتور أحمد أحمد) :

« صلاح الدين الايوبى بين شعراء عصره وكتابه » القاهرة ، ١٩٦٠م

٨٦ ــ باجة (صالح) :

« الاباضية بالجريد فى العصور الاسلامية الاولى ، اشراف الدكتور على الشابى ، تونس ١٩٧٦ م .

٨٧ ــ بالنثيا (آنخل جنثالث) :

« تاريخ الفكر الاندلسى » ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٨٨ ــ بل (الفرد) :

« الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى » ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوى ، بنغازى ١٩٦٩ م .

٨٩ ــ .....

« بغية الرواد فى ذكر ملوك بنى عبد الواد » الجزائر ، ١٩٠٣ م .

٩٠ ــ نجاة باشا :

« التجارة فى المغرب الاسلامى من القرن ٤ هـ الى ٨ هـ » . تونس ، ١٩٧٦ م .

٩١ ــ ابن تاويت (محمد) ومحمد الصادق عفيفى :

« الادب المغربى » ، بيروت ١٩٦٠ م .

٩٢ ــ .....

« من زوايا التاريخ المغربى » مجلة تطوان للابحاث المغربيةالاندلسية العدد ١٠ ، تطوان ، ١٩٦٥ م .

٩٣ ــ الجــرارى (الدكتور عباس) :

« الموحدون ثورة سياسية ومذهبية » مجلة المناهل ، العدد الاول ، السنة الاولى الرباط ١٩٧٤ م .

٩٤ ــ .....

« وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ » الرباط ، ١٩٧٦ م .

٩٥ ــ .....

« الادب المغربى من خلال ظواهره وقضاياه » ج ١ ، الرباط ١٩٧٩ م

٩٦ ــ الجنحانى (الحبيب) :

« المغرب الاسلامى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية : القرن ٣ــ٤ هـ / ٩ــ١٠ م » تونس ١٩٧٧ م .

٩٧ ــ جنــون (عبد الله) :

« النبوغ المغربى فى الادب العربى » ، ط ٢ ، ج ١ــ٣ ، بيــروت ١٩٦١ م .

٩٨ ــ حسن (الدكتور حسن ابراهيم) :

« تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى » ط ٥ ، ج ١ . « الدولة العربية فى الشرق ومصر والمغرب والاندلس » القاهرة ، ١٩٥٩ م .

٩٩ ــ حسن (الدكتور على ابراهيم) :

« مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى الى الفتح العثمانى » القاهرة ، ١٩٤٧ م .

١٠٠ ــ خطاب (محمود شيت) :

« قادة الفتح المغربى العربى » ط ١ ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

١٠١ ــ ديـــوز (محمد على) :

« تاريخ المغرب الكبير » ، ج ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

١٠٢ ــ الدمشـــقى :

« محاسن التجارة » القاهرة ، ١٣١٨ هـ .

١٠٣ ــ ديمانــد (م . س) :

« الفنون الاسلامية » ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقــديم دكتور أحمد فكرى ، القاهرة ١٩٥٨ .

١٠٤ ــ زكــار (الدكتور سهيل) :

« تاريخ العرب والاسلام » بيروت ١٩٧٥ م

١٠٥ ــ ابن زيـــدان :

« العز والصولة » نشر عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، ١٩٦١ م .

١٠٦ ــ سالم (الدكتور السيد عبد العزيز) :

« طارق بن زياد » مقال بدائرة معارف الشعب ، عدد ٦٧ ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

١٠٧ — « مرسيه » مقال بدائرة معارف الشعب ، عدد ٦١

١٠٨ — « المهدى بن تومرت » مقال بدائرة معارف الشعب رقم١٩٦٠،

١٠٩ — « الفنون والصناعات بالاندلس » مقال بدائرة معـــارف الشعب ، عدد ٦٤ .

١١٠ — « المسجد الجامع بالقيروان وجامع الزيتونة بتونس » مقالان بكتاب بيوت الله مساجد ومعاهد ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، كتاب الشعب عدد ٧٨

١١١ — « التخطيط ومظاهر العمران فى العصور الاسلامية الوسطى» مقال بمجلة المجلة ، العدد التاسع ، سبتمبر ١٩٥٧ م .

١١٢ — « المساجد والقصور بالاندلس » القاهرة ١٩٥٨ م .

١١٣ — « أثر الفن الخلافى بقرطبة فى العمارة المسيحية بأسبانيـــا وفرنسا » المجلة العدد ١٤ ، ١٩٥٨ م .

١١٤ — « مسجد المدجنيين بطيطلة » مقال بمجلة كلية الاداب جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨

١١٥ — « روائع الاثار الاسلامية بجمهورية الجزائر العربية » ، المجلة ، العدد ٢٩ ، ١٩٥٩ .

١١٦ — « المغرب الاسلامى » كتاب الشعب عدد ١٣٨—١٣٩ القاهرة ١٩٦١ م .

١١٧ « المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها وتطورها منـــذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى » القاهرة ١٩٥٩ م .

١١٨ — « تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاســـــلامى » الاسكندرية ، ١٩٦١ م .

١١٩ — « تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس » بيروت ١٩٦٢ م

١٢٠ — « طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى » الاسكندرية ، ١٩٦٧ م .

١٢١ — « التاريخ والمؤرخون العرب » الاسكندرية ١٩٦٧ ، ١٩٨١م

١٢٢ — « تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس » ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

١٢٣ — « تخطيط مدينة الاسكندرية وعمرانها فى العصر الاسلامى » مكتبة المدن الاسلامية ، العدد الاول ، بيروت ١٩٦٤ م .

١٢٤ — « تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر الابيض المتوسط » ، ج ١ ، ٢ بيروت ١٩٧١ م .

١٢٥ — « وسائل الدفاع الاسلامى فى العصور الوسطى » مجلة الجيش ، عدد ٨٢—٨٣ .

١٢٦ — « المغرب الكبير » ج ٢ ، العصر الاسلامى دراسة تاريخية عمرانية وأثرية ، الاسكندرية ١٩٦٦ ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٨١

١٢٧ — سرور (الدكتور محمد جمال الدين) :

« سياسة الفاطميين الخارجية » القاهرة ، ١٩٦٧ م .

١٢٨ — .....

« الدولة الفاطمية فى مصر » القاهرة ، ١٩٦٦ م .

١٢٩ — سليم (الدكتور محمود رزق) :

« الاشرف قانصوه الغورى » ، أعلام العرب رقم ٥٢ .

١٣٠ — سليمان (نعيم زكى فهمى) :

« طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى » جامعة القاهرة ١٩٦٨ م .

١٣١ — ابن ســـودة (عبد السلام عبد القادر) :
« دليل مؤرخ المغرب الاقصى » ج ١—٢ ، الرباط ١٩٦٥ م .
١٣٢ — ابن شريفة (الدكتور محمد) :
« من تاريخ الاسر المغربية ، أسرة بنى عشرة ، تطورها التاريخى ، ودورها الحضارى » مجلة تطوان ، العدد ١٠ ، ١٩٦٥ م .
١٣٣ — شعيرة (الدكتور محمد عبد الهادى) :
« الاسكندرية من الفتح العربى الى نهاية العصر الفاطمى ، مقال من الكتاب الذى أصدرته غرفة الاسكندرية التجارية ، ١٩٤٩ م .
١٣٤ — الشيـــال (الدكتور جمال الدين) :
« أعلام الاسكندرية فى العصر الاسلامى » القاهرة ١٩٦٥ م .
١٣٥ — .....
« مجموعة الوثائق الفاطمية » ج ١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ م
١٣٦ — الشيخ (الدكتور محمد محمد) :
« الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها » الاسكندرية ، ١٩٧٢ م .
١٣٧ — الصبيحى (محمد) :
« انبلاج الفجر عن المسائل العشر » ، الرباط ، ١٩٤٠ م .
١٣٨ — طرخان (الدكتور ابراهيم على) :
« دولة مالى الاسلامية » القاهرة ، ١٩٧٣ م .
١٣٩ — .....
« مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة » القاهرة ، ١٩٦٠ م .
١٤٠ — عاشور (الدكتور سعيد عبد الفتاح) :
« قبرس والحروب الصليبية » القاهرة ١٩٥٧ م .

١٤١ — .....

« مصر فى عصر دولة المماليك البحرية » القاهرة ١٩٥٩ م .

١٤٢ — .....

« مصر فى العصور الوسطى » القاهرة ، ١٩٧٠ م .

١٤٣ — .....

« الحركة الصليبية » جزآن ، القاهرة ١٩٦٣ م .

١٤٤ — .....

« العصر المماليكى فى مصر والشام » القاهرة ١٩٦٥ م .

١٤٥ — العامرى (محمد عبد الهادى) :

« تاريخ المغرب فى سبعة قرون بين الازدهار والذبول » ، تونس ، ١٩٧٤ م .

١٤٦ — العبادى (الدكتور أحمد مختار) :

« دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس » الاسكندرية ١٩٦٨ م .

١٤٧ — العبادى والدكتور السيد عبد العزيز سالم :

« تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر الابيض المتوسط » جزءان ، بيروت ١٩٧١ م .

١٤٨ — .....

« الصقالبة فى أسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية » مدريد ١٩٥٣ م

١٤٩ — .....

« قيام دولة المماليك الاولى فى مصر والشام » بيروت ١٩٦٩ م .

١٥٠ — العبادى (الدكتور عبد الحميد) :

« المجمل فى تاريخ الاندلس » مصر ١٩٥٨ م .

١٥١ — ابن عبد الله (عبد العزيز) :

« معطيات الفن الاسلامى فى المغرب » مجلة المناهـل ، العدد ٣ ، الرباط ، ١٩٧٥ م .

١٥٢ — .....

« تاريخ الحضارة المغربية » الدار البيضاء ، ١٩٦٣ م .

١٥٣ — .....

« البحرية المغربية والقرصنة » مجلة تطوان ،العددان ٣ — ٤ ، ٥٨—١٩٥٩ م .

١٥٤ — ابن عبود (محمد بن عبد السلام) :

« تاريخ المغرب » ج ١ ، تطوان ، ١٩٥٧ م .

١٥٥ — عبد الحميد (الدكتور سعد زغلول) :

« الاثر المغربى والاندلسى فى المجتمع السكندرى » مجلة كلية الاداب بالاسكندرية ١٩٧٥

١٥٦ — .....

« تاريخ المغرب العربى » الاسكندرية ١٩٦٤ م .

١٥٧ — .....

« العلاقة بين صلاح الدين الايوبى وأبى يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى » مجلة كلية الاداب بالاسكندريـة ، ١٩٥٣ م .

١٥٨ — .....

« محمد بن تومرت وحركة التجديد فى المغرب والاندلس » بيروت ١٩٧٣ م .

١٥٩ — العدوى (الدكتور ابراهيم أحمد) :

« الاساطيل العربية فى البحر الابيض المتوسط » القاهرة ، ١٩٥٧ م

١٦٠ — .....

« الدولة الاسلامية واميراطورية الروم » القاهرة ، ١٩٥٨ م .

١٦١ — .....

« قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط » القاهرة ١٩٦٣ م

١٦٢ — عثمـــان (الاستاذ فتحى) :

« الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى ، والاتصال الحضارى » ثلاثة أجزاء ،القاهرة ١٩٦٧ م .

١٦٣ — عـــلام (الدكتور عبد الله على) :

« الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على » دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ م .

١٦٤ — عنـــان (الاستاذ محمد عبد الله) :

« عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس » القسم الاول والثانى ، القاهرة ١٩٦٤ م .

١٦٥ — .....

« مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية » القاهرة ، ١٩٣١ م .

١٦٦ — ابن غازى (محمد) :

« الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون » الرباط ١٩٥٢ م .

١٦٧ — الفاسى (التقـــى) :

« منتخب المختار أو تاريخ علماء بغداد » نشر عباس العزاوى بغداد ١٩٣٨ م .

١٦٨ — فهـــد (الدكتور بدرى محمد) :

« تاريخ العراق فى العصر العباسى الاخير ، ٥٥٢—٦٥٦ هـ / ١١٥٧—١٢٥٨ م » بغداد ، ١٩٧٣ م .

١٦٩ — فهمى (الدكتور عبد الرحمن) :

« فجر السكة العربية » من مجموعات متحف الفن الاسلامى القاهرة ١٩٦٥ م .

١٧٠ — .....

« صنج السكة فى فجر الاسلام » ، القاهرة ١٩٥٧ م .

١٧١ — .....

« الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة الاسلامية » محاضرة فى المؤتمر الثالث للاثار فى البلاد العربية بفاس ، القاهرة ١٩٦١ م

١٧٢ — .....

« النقود العربية ، ماضيها وحاضرها » المكتبة الثقافية ، عدد ١٠٣ ، القاهرة ١٩٦٤ م .

١٧٣ — الكعاك (الاستاذ عثمان) :

« العلاقة بين تونس وايران عبر التاريخ » تونس ١٩٧٢ م .

١٧٤ — لوبون (جوستاف) :

« حضارة العرب » ترجمة : عادل زعيتر ، القاهرة ١٩٥٦ م .

١٧٥ — لويس (أرشيبالد) :

« القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط » ، ترجمة الاستاذ أحمد عيسى ، القاهرة ١٩٦٠ م .

١٧٦ — ليفى بروفنسال (أفارست) :

« مجموعة رسائل موحدية » الرباط ١٩٤١ م .

١٧٧ — .....

« سلسلة محاضرات عامة فى أدب الاندلس وتاريخها ، القاها عامى ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ » ترجمة : الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة ، راجعهـا الدكتور عبد الحميد العبادى ، مطبوعات كلية الاداب ــ الاسكندريـة ، ١٩٥١ م .

١٧٨ ــ .....

« مؤرخو الشرفا » تعريف : عبد القادر الخلادى ، تقديم : الدكتور محمد حجى ، مجلة أرابيكا ١٩٥٦ ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر والترجمة ، سلسلة التاريخ رقم ٥ ، الرباط ١٩٧٧ م .

١٧٩ ــ ليو الافريقى (حسن بن محمد الوزان ت حوالى ١٥٤٠ م) : تاريخ ووصف أفريقيا وأشهر ما فيها من عجائب .

١٨٠ ــ ماجـد (الدكتور عبد المنعم) :

« السجلات المستنصرية » القاهرة ١٩٥٤ م .

١٨١ ــ .....

« نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر » القاهرة ١٩٥٣ م .

١٨٢ ــ ماهـر (الدكتورة سعاد) :

« البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية » القاهرة ١٩٦٧ م .

١٨٣ ــ محمود (الدكتور حسن أحمد) :

« قيام دولة المرابطين » القاهرة ١٩٥٧ م .

١٨٤ ــ مايـر (ل . أ .) :

« الملابس المملوكية » ترجمة صلاح الشيتى ، مراجعة وتقديم الدكتور عبد الرحمن فهمى محمد ، القاهرة ١٩٧٢ م .

١٨٥ ــ مرزوق (الدكتور محمد عبد العزيز) :

« الفنون الزخرفية الاسلامية فى المغرب والاندلس » بيروت ١٩٧٢ م

١٨٦ — ملبن (محمـــد رشيد) :

« عصر المنصور الموحدى » الرباط ١٩٤٦ م

١٨٧ — مكى (الدكتور محمود على) :

« التشيع فى الاندلس » صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الثالث ١٩٥٤ م .

١٨٨ — .....

« وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين » صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد السابع ، العدد ١—٢ ، ١٩٥٩ م .

١٨٩ — .....

« الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار المأثورة » مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد العشرون ، ٧٩—١٩٨٠ م .

١٩٠ — ابن منصور (عبد الوهاب) :

« قبائل المغرب » الرباط ١٩٦٨ م .

١٩١ — مـــؤنس (الدكتور حسين) :

« مقدمة رياض النفوس للمالكى » القاهرة ١٩٥١ م .

١٩٢ — .....

« فتح العرب للمغرب » القاهرة ١٩٤٧ م .

١٩٣ — .....

« سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم فى الانـــدلس » صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد المجلد الثانى ١٩٥٤ م

١٩٤ — .....

« فجر الاندلس » القاهرة ١٩٥٩ م .

١٩٥ ــ هيــنتز (آدم) :

« الحضارة الاسلامية » ج ١ ــ ٢ ، تعريب الدكتور محمــد عبــد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٥٧ م .

١٩٦ ــ نللينـــــو (كارلو الفونسو) :

« بحوث فى المعتزلة » فصل من كتاب التراث اليونانى فى الحضــارة الاسلامية ، ترجمة : الدكتور عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ١٩٦٥ م .

رابعــا ــ الرحــلات :

١٩٧ ــ ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى) : « تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار » تحقيق أحمد العوامرى ومحمد أحمد جاد المولى ، ج ١ ــ ٢ ، القاهرة ١٩٣٤ م .

١٩٨ ــ التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد ــ ت حوالى ٧١٧ هـ/ ١٣١٧ م) :

الرحلة . نشر حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ م .

١٩٩ ــ ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الانــدلسى ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) :

الرحلة ، بيروت ، ١٩٦٤ م .

٢٠٠ ــ السبتى (القاسم بن يوسف التجيبى : ت ٧٣٠ هـ/١٣٢٩ م) مستفاد الرحلة والاغتراب ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، تــونس ١٩٧٥ م .

٢٠١ ــ ابن رشيد السبتى (محمد بن عمر ٦٧٥ــ٧٢١ هـ /١٢٥٩ ــ ١٣٢١ م) :

« ملء العيبة فى ماجمع بطول الغيبة فى الوجهتين الكريمتين الى مكة

وطيبة » • تحقيق ، نجاح صلاح الدين القابسى ، آداب عيـــن شمس ، ١٩٧٨ م •

٢٠٢ ــ العبدرى الحيحى (أبو عبد الله محمد بن محمد) :

الرحلية المغربية ، تحقيق محمد الفاسى ، الرباط ١٩٦٨ م •

٢٠٣ ــ دائرة المعارف الاسلامية :

النشرة الفرنسية ١٩٦٢ ، ج ٢ ، فصل دينار ، بقلم :

G. Miles.

رابعـا ـ المراجـع الأوربية :

1 — Abun-Nasir "Gamil M." : A History of the Maghrib. Cambridge, 1971.

2 — Alfred Bel; Les Banou Chanya, Paris, 1909.

3 — Amedroz : Notes on Some Sufi Lives, 1912.

4 — Anonyme : Chazaouat Aroudj au Khair-ed Din "Frade-Sanden-Rang et Davis" 2v in-80. Paris 1887.

5 — Bovill "E.W." : The Golden Trade of the Moors. London, Oxford 1970.

6 — Bourouiba "Rachid"; Ibn Tumart. S.N.E.D. Alger. 1974.

7 — ————; Abd El-Mu'min Flambeau Des Almohades. Alger,1974.

8 — Brunschvig "R" : La Bérbérie Oriental Sous Les Hafsides. 2 Tome Paris. 1940—46.

9 — Cahen "CL." : Le Commerce dans le Monde Musulman a Son Apogèc, UNEF, FGEL annee 1966— 1974.

10 — Curtin "Philip. D." : The Atlantic Slave Trade. London. 1969.

11 — Davidson "B" : - Old Africa Pediscovered, London, 1959.

12 — ———— - Black Mother, London, 1961.

13 — Debreuil : Les Pavillons des êtats Musulmans Hespéris Tamuda, 1960.

14 — Fisher "Humphery" : The Western And Central Sudan Cambridge, 1970.

15 — Hartwing Derenbourg : Omara du Yemen, Sa Vie et Son Oeuvre, Tome I, Paris, 1909.

16 — Heyed "W." : Histoire du Commerce des Levant au Moyen Age Paris, 1885.

17 — Julien "C.A." : Histoire de L'Afrique du Nord de la Conquête Arabe a 1930. Paris 1952—1959.

18 — Kuczynski, "R.R." : Population Movements. Oxford 1936.

19 — Lavoix "H" : Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliothéque Nationale, 3 Vols, Paris, 1887.

20 — Lean "L'Africain" : Description de L'Afrique Adrien-Maisonnenve Paris 1956.

21 — Lopez "Robert S." : Medieval Trade In The Mediterranean World. Columbia, 1961.

22 — Marçais "Georges" : La Berberie Musulmane et L'Orientan Moyen Age. Paris, 1946.

23 — ———, Les Arabes en Berberie du XI^e au XIV^e Siècles. Paris, 1913.

24 — Massignon "Luis" : Le Maroc Dans Les Premieres Années du XVII Siècle. Paris, 1906.

25 — Oliver "Roland" & Fage "J.D." : A Short History of Africa. London, 1970.

26 — Peyrouton "Marcel" : Histoire Générale au Maghreb. Paris, 1966.

27 — Piloti "E." : L'Egypte au Commencement XV^e Siécle. Cairo. Univ. Fouad. 1950.

28 — Pirenne "H" : Les Villes au Moyen Age. Essoi d'Histoire Economque et Sociale. Bruxelles 1937.

29 — ——— : Mohamet ét Charlemagne, Paris, 1937.

30 — Pliak, "A.N." : Les Rèvoltes Populaires en Egypte à L'epoque de Mamloukes et leurs Causes Economiques. R.E.I. Tome 3. Paris, 1934.

31 — Rabinowitz, "L.I." : Jewish Marchant Adventures, London, 1948.

32 — Raymond Mayny's : Tabbleau Géographique de L'Oues African au Moyen Age, Paris, 1961.

33 — Seligman, C.G., Races of Africa, London, 1966.

34 — Strauss, "E." Prix et Salaires à L'èpoque Mamlouke, etude sur L'etet Economique de L'Egypte et de la Syria a la fin du Moyen Age. Paris, 1949.

35 — Terrassé; "H." : Histoire de Maroc, Casablanca, 1949.

36 — Tourneau; "R.Le." : L'Occident Musulman du Vlles a la fin du XV^es. Algerie 1958.

37 — Wiet Gaston : Histoire de la Nation Egyptienne, Tome IV (L'Egypte Arabe) Paris 1926.

38 — Cambridge Medieval History, Tome II : Medieval Trade In The Mediterranean World Columbia 1961.

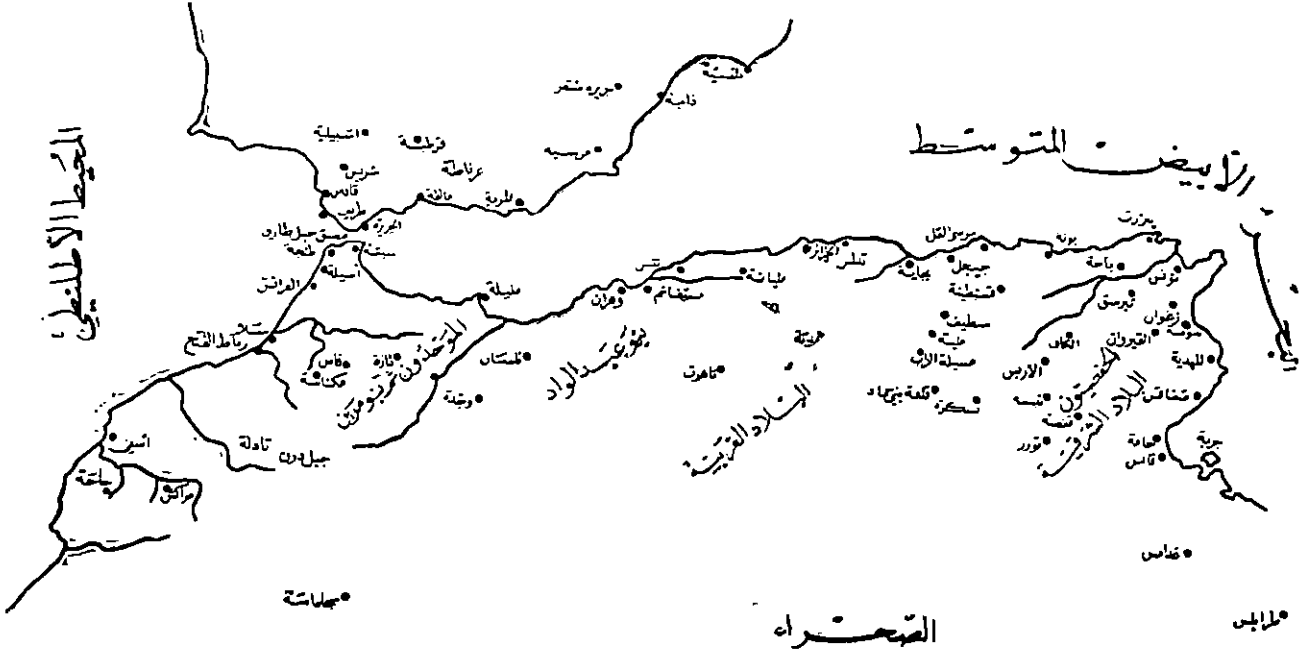
البحر الأبيض المتوسط
المحيط الأطلنطي
الصحراء
مرسيه
ذابة
قرطاجة
عرناطة
مالقة
الجزيرة
سبتة
أصيلة
العرائش
رباط الفتح
مكناسة
فاس
تازة
المرابطون
الموحدون
مراكش
أسفي
تادلة
جبل درن
بجاية
قسنطينة
سطيف
مسيلة الأرض
تلمسان
وجدة
تاهرت
الأغالبة
القيروان
الأدارسة
تونس
بنزرت
باجة
سوسة
المهدية
صفاقس
قابس
جربة
طرابلس

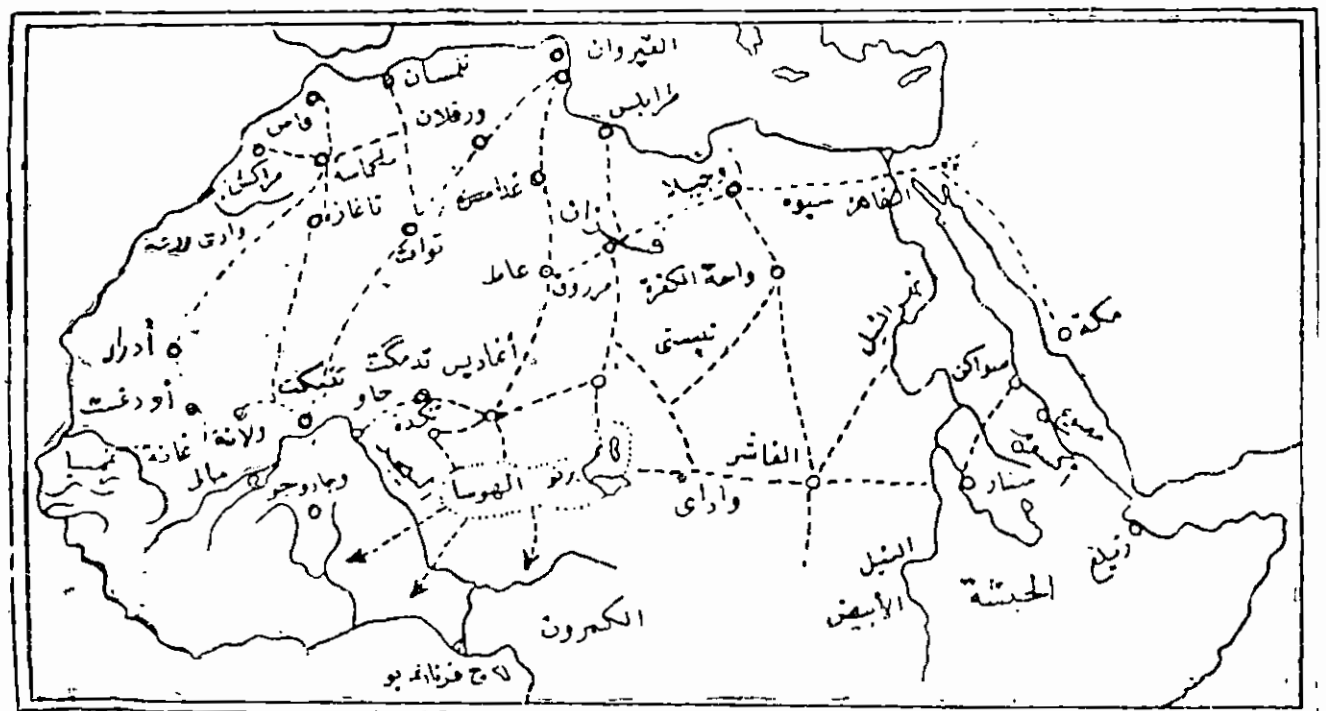

طرق القوافل الرئيسية بين الغرب الإسلامي والمشرق

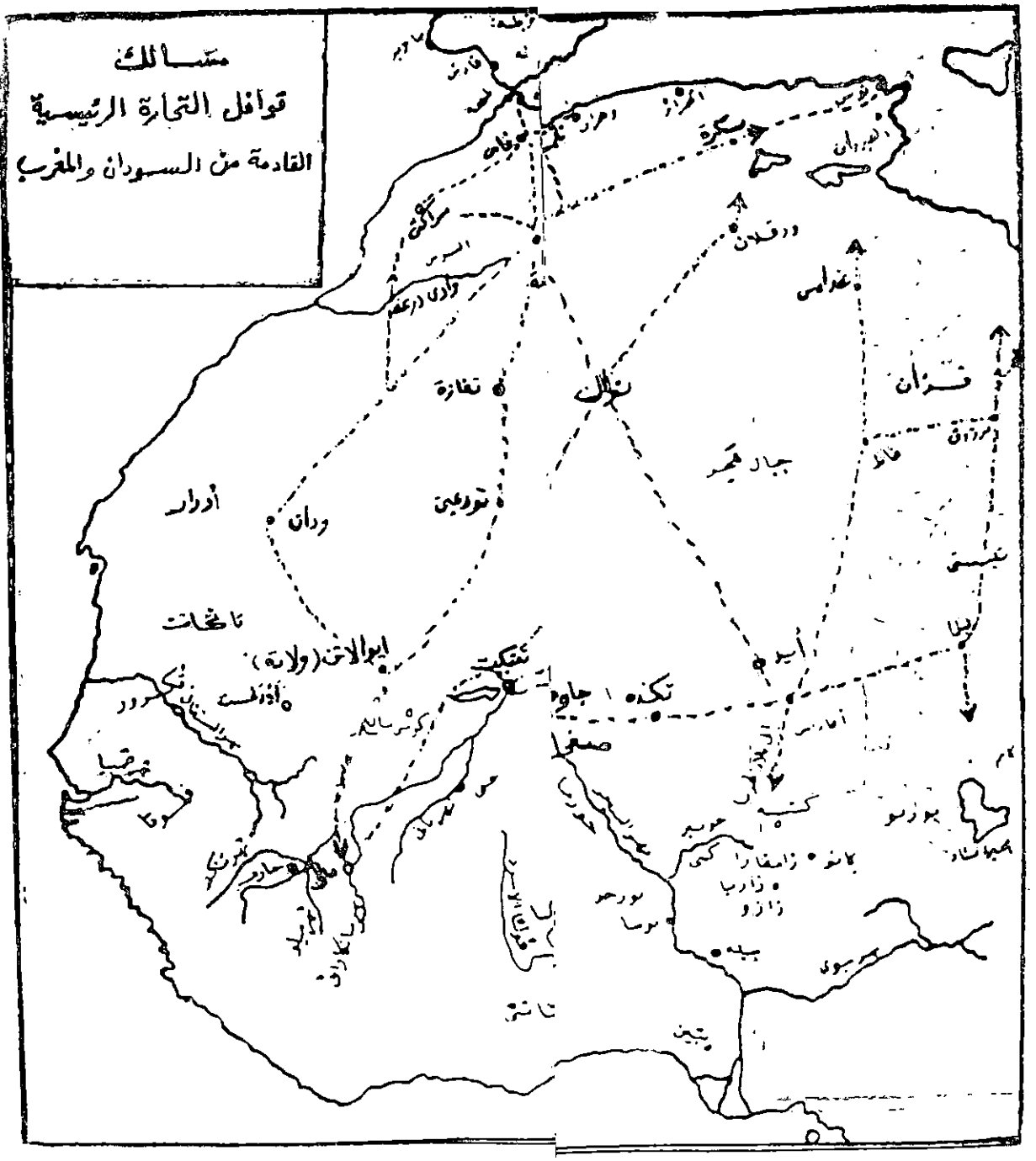
مسالك
قوافل التجارة الرئيسية
القادمة من السودان والمغرب
وادى (زعفران)
تغازة
تودنى
ودان
أدرار
تافلت
ايوالاتن (ولاية)
تنبكت
تكده
جاوه
غدامس
فزان
جبل هجر
صفاقس
قفصة
توزر
نفطة
زارية
زارزو
بلمة
بورنو

تعريف بعض المصطلحات المغربية

الحـــــــلال : فى المغربية القديمة هو السارق •

ود الخـــــلافة : أى أد واجبات الخـــلافة وتشريفات الامـــير . والعبارة عامية ولا زالت مستعملة الى الان •

مـــــــولاها : صاحبها •

تطهير الصـــبى : ختانه ؛ ولا زالت مستعملة بهذا المعنى فى بعـــض جهات المغـــرب •

أســـــــبارك : مربط الخيل باللغة البربرية المغربية •

مـــــــــذود : جمعها مذواد وهى مأكل الدواب وموضع علفها •

أسمـــــــــاس : باللغة البربرية السـوسية يلت بالسمن أو الزبد وتأكله الجمـــاعة •

الزراجنـــــــة : هى جمع زرجان وهو طائر أســـود البطن أبيض الريش •

الشـــــــــطب : أغصان الاشجار فى العاميـــة المغربية •

أمزكـــــــــور : هى الذرة بالشلحة (أى البربرية) •

المجسمـــــون : كان الموحدون يلقبون المرابطين بالمجسمين ، لان محمد بن تومـــرت الزم فقهاءهم أثنـــاء تناظره بالقول بالذات والمكان •

اكـــــــــراو : مجمع باللغة البربرية •

المخـــــــــزن : الحكومة فى الاصطلاح الادارى المغربى القديم ، ولا زالَ يستخدم بنفس المعنى الى الان •

المحـــــــــلة : الجيش المستقر فى الاصطلاح العسكرى المغربى القديم ، وعكسها الحركة أىَ الجيش الضارِبِ ، وقـــد تعنى المحلة مجرد الجيش •

اللسان الغـــربى : أى لغة الغرب (المغرب) وهى بالبربرية فى عرف الاندلسيين والمغاربة القدماء •

الـــــــــرزة : يرَاد بها العرَوة التى يدخلُ فيها العمود(الزكرُوم) الذى تغلق به الابواب ، وتطلق الرزة أيضا على العمامة لاستدارتها على الرأس وما زالت للرزة دلالتاها المذكورتان الى الان •

الطاق أو الطاقة : الكوة ، النافذة الصـــغيرة وهى عرَبية • والطاقُ المصرية دار صغيرة فوقية تبنى فوق الحوانيت أو مدخلُ الديارِ ، ولعلَّ هندستها نقلتَ الى المغرَبِ من مصر فنسبت لها •

الغـــيرَ : التغيير : أىَ الشر •

ضم : أى جمـــع : والكلمة تستعمل فى العامية المغربية بهـذا المعنى ويقلب ضادها طاء (طم) .

تدرســـــــنى : أى تدوسنى ، والكلمة من العـــامى الفصيح .

أيفـــــــرخان : جمع أفروخ ، أى الشاب القوى بالبربرية . ويقلب ضادها طاء (طم) .

تمت بحمـــــــد الله